

الدكتور نعيم عطية

الناشئة تجاه الراشدين في لبنان

بقلم نعيم عطية

دكتور في التربية وعلم النفس
الجامعة الامريكية في بيروت

لقد كثرت الاحاديث في انديتنا في السنوات الاخيرة عن وضع النشء في مجتمعنا ، وقلق اللبنانيون لظاهرة خطيرة اخذت تبرز في الشبيبة ، هي مسالة الجنوح والانحراف لدى المراهقين . ويتبادر الى البعض ان مسؤولية هذا التطور تقع في الدرجة الاولى على السينما الغربية واساليبها المغرية . وقد عرض لهذا الرأي بعض الذين يتعاطون الكتابة في الصحف والمجلات الادبية في لبنان .. غير ان هذا الراي ، على ما فيه من الصحة لا يخلو من السطحية . فالجنوح لدى المراهق ليس ظاهرة جديدة في مجتمعنا ، ولكنه بسبب السينما الغربية تلبس شكلا جديدا لم نعهده من قبل اذ تعلم الجانحون اساليب جديدة في فنون المخالفة القانونية والاجتماعية ، فكان ما كان من امر جرائم الاحداث التي ما كانت لتلفت نظرنا لولا الشكل المسرحي الذي ظهرت فيه . وقد يكون من حسن حظنا ان الجنوح قد ظهر اخيرا بهذا الشكل العياني ، لعله يثير الاهتمام بدراسته من الاساس، ويحدو بنا الى تعرف اسبابه العميقة البعيدة.

ونشوء السلوك الجانح مسألة نفسية اجتماعية معقدة ذات جوانب عدة لا يمكن استقصاؤها دفعة واحدة ، كما لا يمكن الاحاطة بها عن طريق التأمل المجرد عن الدراسة الواقعية لاوضاع الناشئة في مجتمعنا . ومن جملة المسائل التي تثيرها هذه الظاهرة مسألة ذات اهمية سيتناولها هذا البحث ، هي نوع العلاقات العائلية التي يبني عليها الناشىء اللبناني موقفه من عالم الراشد .

يقود البحث عن هذه العلاقات العائلية الى مركز الطفولة في المجتمع اللبناني ككل اولا ، والى علاقة الاهل بالطفل في البيت ثانيا . ويأتي البحث عن حالة المجتمع اولا لانه يلقي ضوءا على نوع العقلية التي سيتبعها الاهل في البيت.

لا ريب في ان الانسان ، والمجتمع بالتالي ، يداب في التوصل الى نوع من العيش الذي تتوفر فيه السعادة . فلماذا تغفل بعض المجتمعات ، ومنها المجتمع اللبناني،درس الصحة النفسية العامة ونوع العلاقات الانسانية في الحياة البيتية ، وهي في الحكم الاخير التجسيد العملي للسعادة في هذه الحياة .؟

يصعب ان نعين بالضبط اسباب ذلك ، وانما يمكن ان نتلمس بعضها بالنسبة الى لبنان ، في طبيعة الوضع الحضاري في هذه الفترة من تاريخنا . فهناك طائفة من العوامل سنتناول بالدرس ما نحسبه اهمها .

السبب الاول هو اجتماعي في ظني . فالمجتمع ، اي مجتمع دائما مدعو الى التطور ، وان كانت الحياة الاجتماعية فيه على قليل او كثير من النضج . فطبيعة التطور نفسها تخلق مشكلات وقضايا جديدة ، ينبغي للمجتمع ان يوليها عنايته واهتمامه . وكذلك عندما يكون المجتمع لا يزال في حالة التكون ، او عندما يواجه ضرورة النهضة من اوضاع يعتبرها فاسدة ، فلا يمكنه الانتقال من اوضاعه الى حالة تقرب من النضج الذي يبغي الا عن طريق التدرج . فالنمو الاجتماعي ليس طفرة ، وانما عملية داخلية بطيئة متدرجة وهناك مراحل تتكامل ، تهيء الواحدة منها للاخرى . والمرحلة هي نوع من الازمة ، تنتج اما عن اضطراب يطرا على توازن القوى الضابطة لحياة الجماعة ، او عن تطور طبيعي يتفتح المجتمع فيه على قضايا مستجدة في الحياة والمسائل الانسانية .

ولكي يتسنى للمجتمع ان يحافظ على سلامته ويضمن انتقاله الى مرحلة جديدة ، ينبغي ان ينصب على معالجة القضايا والامور التي تواجهه في المرحلة التي يكون فيها ، وان اخفق في ذلك تعرض للبلبلة الاجتماعية من جهة ، ولفقدان القدرة على الانتقال الى مرحلة جديدة من جهة اخرى . وفي المجتمع المعقد لا بد من ان يواجه المجتمع مجموعات من القضايا تتناول نواحي مختلفة من تطوره . فيبقى يصارع ، لضمان الحياة الفضلى ، على جبهات متعددة في آن واحد .

غير ان هذه الجبهات تختلف في الخطورة بالنسبة لحياة الجماعة . وتدخل هنا قضية القيم ، وبالتالي نجد ان المجتمع يوزع جهوده بنسب مختلفة على هذه الجبهات، وكثيرا ما يسبب الانصباب على القضايا المتمثلة في مرحلة ما اعاقة عن الاهتمام بالقضايا الاخرى . وهكذا ، اذا ما شغلت احدى الجبهات معظم عناية المجتمع واهتمامه فقد

يتعرض النظام الاجتماعي الى نكسة في الجبهات الاخرى ، مما يدعو الى اعادة النظر في توزيع الجهود الاجتماعية بغية اعادة التوازن الى حياة المجتمع .

وفي العالم العربي ، المرحلة الطبيعية التي نحن فيها هي مرحلة التكون السياسي . فبعد فوزنا بالاستقلال ، نحن مدعوون ، طبيعياً ، الى الاهتمام بالقضايا التي تواجه شعوبا تريد ان تمارس سيادتها على نفسها ، منها قضية شكل الدولة ، ونوع الحكم ، وعلاقة الافراد بالمؤسسات الحكومية وعلاقة الهيئات الاجتماعية المختلفة بالدولة ، واهم من كل ذلك قضية كياننا السياسي بالذات ونوع الحياة الذي نبغي .

ولا شك في ان هذه المرحلة ، على بدائيتها في التطور الاجتماعي ، من اهم مراحل الحياة الاجتماعية واخطرها . ولذلك نرى انه سرعان ما يستحوذ البحث في السياسة على انتباهنا نافذا الى الاعماق ، فهو افعل منبه فينا . ولخطورة المشكلات التي تثيرها هذه المرحلة في العالم العربي عامة ، وفي لبنان خاصة ، ليس غريبا ان يكون المجتمع اللبناني قد اولى معظم اهتمامه لها ، وان على حساب ما عداها من المشكلات . ولا شك في ان الوضع الاجتماعي هذا ينعكس على العقلية العامة والمناخ الفكري في المجتمع . فان كان العلم بمعناه التجريبي الحديث ، وبما يتطلب من صبر وتجرد وانفتاح ، لم يجد سبيله بعد الى مجتمعنا مثلا ، فذلك يعود بالاكثر ، لا الى انعدام الكفاءات عندنا ، بل الى انعدام الحافز الاجتماعي وعدم استعداد الراي العام للاستجابة له . فالمرحلة العلمية حينها ، وهي لا بد آتية بعد مرحلة الاستقرار السياسي .

ومن اهم خصائص المرحلة السياسية ، وهي مرحلة مصيرية كيانية ، ان قضاياها هي قضايا عالم الراشدين ، ولا تمت بكبير صلة الى عالم الطفولة وقضاياه . عصرنا هذا هو عصر الراشد ، فليس للطفولة فيه او للنشء عامة قضية ذات شأن .

والنشء عامة لا يفقه ضرورات المرحلة السياسية في المجتمع بشكل واقعي معقول . وانما يحس احساسا عفويا غامضا بخطورتها ، يحس بالازمة والخطر ورهبة المصير . وما يعنيه من كل ذلك هو ان يضع حدا للهواجس والمخاوف التي تستحوذ على احساسه وتقلق نفسه . واذا ما اشتدت الازمات التي ترافق المرحلة السياسية ، كما حدث في الاضطرابات اللبنانية الاخيرة ، اشتد كابوس القلق وسيطرت على النشء نزعة تشاؤمية ، تدفع به ، كما هي الحال في لبنان ، الى اندية يشجعها بعض المستثمرين ، توفر لهم لذة عابرة ، محمومة ، فيها ما فيها من اليأس والقنوط ، ومن الاستخفاف بالقواعد المرعية والاعراف التربوية . ولا بد من ان تزول بعض هذه العوارض بزوال اسباب الاضطراب السياسي وما ينتج عنه من قلق .

اما ما لن يزول في المستقبل القريب فهو عقلية الراشدين التي ستبقى تنصرف الى قضايا المجتمع المصيرية الاولية حتى نبلغ في لبنان الى ما تتطلب المرحلة السياسية من نضج . وهذه عقلية ترى في معالجة الاوضاع الجماعية طريقا للاصلاح ، في حين ان مشكلات النشء في اكثرها نفسية روحية ، فردية . ولذلك فالاهتمام بالفرد وما يخالجه هو رفاهية لا طاقة لمجتمع الكبار بها في هذه المرحلة من تطورنا . عقلية الكبار هي عقلية جماعية لا فردية ، عقلية تولي اهتمامها قضايا الجماعة كجماعة ، ولا وقت لديها للتوقف على طفائف الامور النفسية . فلا عجب ان يسعى النشء تجاه هذا الاهمال الى اثبات الوجود عن طريق الجنوح في مسالك الجريمة والتجمع في عصابات حافزها لا الشر الذي فيها ، بل رغبة في التحدي واستنكار قيم عالم لا يعير قضاياهم عظيم اهتمام .

والعامل الثاني الذي يفسر موقف الاهل والراشدين من الطفولة واعراضهم عن قضايا الصحة النفسية ينتج عن الاعتقاد بان واجب المجتمع هو ان يبذل جهده في سبيل الضرورات الاولية لجميع ابنائه اولا ، ومن ثم يتفرغ الى الكماليات كالصحة النفسية . فكيف يمكن بذل اي جهد في مدارس لبنان ، مثلا ، على قضايا الصحة النفسية ، والالاف من اطفاله لا يزالون دون مدرسة ، او كيف يمكن الاهتمام بالجانحين والهاربين من الحياة السليمة وما نزال عاجزين عن تأمين التعليم الاساسي للاسوياء من الاحداث .

ولكن ما يمنع ان نبني صحة نفسية جيدة في الالوف الاخرى التي في المدارس ؟ فالاهتمام بالضروريات لا يعيق عن الاهتمام بالصحة النفسية ، فالمسألة مسألة اسلوب نفسي تجاه الطفل في الدرجة الاولى . غير ان زحمة الحياة كثيرا ما تحول دون امكانية اتخاذ هذا الموقف ، فيقع الانسان فريسة العقدة « الفرعونية » ، وهي في اساسها محاولة للتعويض عن اخفاق .

بدت هذه النزعة بصورة واضحة لدى المصريين القدامى ، فلما رزح الفراعنة تحت عبء قلق الخلود ، عمدوا الى بناء الاهرامات الضخمة لتضمن لهم البقاء بثباتها ورسوخها ، بدلا من ان يبحثوا عن اسرار هذا القلق في انفسهم ويعملوا على بلوغ الطمأنينة الداخلية . فالعقدة الفرعونية هي في التعويض عن المطالب الروحية او النفسية بالمظاهر المادية الحسية . فما يلبث الواحد أن يحس بدقة المهمة في المعالجة النفسية ويتراءى له الاخفاق في ذلك ، حتى يبدأ يتلمس شيئا صلبا محسوسا يمني به النفس ويذوق به طعم النجاح . وعملية التعويض هذه ، هي ما يجعل حضارتنا تقيس تقدمها بالازدهار الحسي الملموس في الصناعة والبناء والمظاهر الاخرى التي تبين للعيان كشواهد دامغة على النجاح والتقدم ، بينما تكون الحاجة في الواقع الى الاستقرار الداخلي والطمأنينة ازاء الحياة والمصير .

وينعكس هذا الموقف على علاقة الآباء بالابناء ، فيعوض الراشدون عن اخفاقهم ، او على الاقل ، عن اعراضهم عن

دموع مضيئة

●

لا تقلقي
فدموعك البيض المثيرة
تركت له قصصا كثيرة
تركت له ذكرا ... ذخائر
كأسا واعقاب السجائر
وطلاء ثغرك والاظافر
تركت له فنجان قهوة
ورسالة عبقت بشهوة
منها استمد الضعف قوة

*

امس هنا وقف الزمان
ضاع المدى ضاع المكان
وتساقطت بعض النجوم
والتف حولينا الدخان
وتسللت تلك الثوان
وتركت لي ...
... ذكرى خطيئة
ودموعك البيض المضيئة

بغداد صفاء الحيدري

تفهم الطفل النامي والحدث الناشىء ، بما يبذلون لتأمين الحياة الجيدة لهما ، من المسكن والملبس والطعام الى الحماية ودفع الاذى والعناية الصحية . ولانهماكهم باعمالهم اليومية وانشغالهم عن اولادهم ، يحاولون ان يحجبوا بمثل هذه الاهرامات اخفاقهم في تفهمهم النفسي وتأمين بسطة العيش لهم دون ان يفتدوا جنايتهم بمحاولة في بناء النفس فيصح فيهم القول : « هذا جناه ابي علي » .

ونحتاج في هذا المجال الى مبدأ يعيد الى الاذهان ان الرفاهية المادية التي نوفرها لاولادنا ، وان كانت ضرورية لاسعادهم فهي ، على الغالب لا توفر لهم شيئا من الرفاهية الداخلية . وان الاب الذي يغدق من ماله على اولاده ، فيشتري لهم الهدايا يوم العيد وفي المناسبات الاخرى ، لا يعوض بذلك عن حاجاتهم الى عطفه ومحبته وتفهمه اياهم ، ولا سيما ان كان منصرفا عنهم الى اعماله وشؤونه الخاصة . فالهدية يوم العيد لا تكلف سوى بعض الليرات يتناولها الوالد من جيبه ، اما العلاقة الانسانية فتتطلب كثيرا من البذل الذي ينبغي للوالد ان يتناوله من نفسه .

ومن جهة اخرى ، فمسألة النمو النفسي السليم مسألة عناية فردية حميمة ، كثيرا ما ينصرف عنها الآباء ، اولا لاعتقادهم بان المشاغل النفسية لدى اولادهم امور طفيفة عابرة ، يتكفل الزمن بمعالجتها ، متغاضين عن الآثار التي تخلفها في النفسية ، وان صح احيانا ان تكون امورا عابرة . وثانيا لانهم يدركون الاحراج الذي قد يوقعهم فيه اولادهم باسئلتهم الجريئة ، فيتجنبون ذلك على حساب علاقتهم بهم وعلى حساب سلامة نموهم .

ولا يكفي ان الآباء ، في غمرة اهتمامهم بالقضايا المادية وحياة البيت العامة ، يغفلون التبصر في طبائع اولادهم ومحاولة النفوذ الى نفوسهم وانما يحاولون التخفيف عن عواتقهم من مسؤولية هذا التبصر فيبعدونهم عن الاهتمامات البيتية ولا يشركونهم في اي قرارات تتناولها . واذا ما تعرضت الحياة البيتية الى ازمة ، وما اكثرها في كل بيت ، يحرص الاهل على كتمانها او كتمان تفاصيلها عن الابناء دون ان يكون في سلطانهم أن يزيلوا غيمة الكآبة والقلق عنهم بسببها ، فيزيد الكتمان هذا من رهبة السر ولا ينجح الا في تشديد خناق القلق على الاولاد وتكثيف الحاجز النفسي بينهم وبين الاهل . فانى للطفل او للناشىء عند ذلك ان ينجو من شعوره بالصغارة ازاء الراشد او شعوره بالابعاد عنه ، وانى له أن يجرؤ على مفاتحته بمشكلة تحل به والبوح له بأسرار نفسه ، والراشد يدخل في روعة الشعور بان بروز المشكلة في الحياة شيء من الخطيئة او العيب ينبغي ان يسدل عليه الستار او يحاط بالكتمان ؟

امور اربعة في مجتمعنا تفسر تأخر الاهتمام بالقضايا النفسية التي تواجه الناشئة . اولا ، الاهتمام بالقضايا السياسية العامة واعتبار حياة الجماعة في هذه المرحلة اولى الاستقرار النفسي ، ثانيا ، اعتبار الرفاه المادي او بالاحرى الاغداق المادي تعويضا او ربما تعبيرا كافيا عن العطاء النفسي ، ثالثا ، التخوف من مجابهة بعض القضايا التي تبرز لدى الناشئة ومحاولة تجنبها او كبتها ، رابعا ، محاولة الاهل لحماية اولادهم من مشاغل الحياة العائلية ومصاعبها وذلك بابعادهم عنها وعدم أشراكهم في تحمل مسؤوليتها .

وهكذا نتيجة لحرص مجتمعنا الشديد على سلامةالكيان العام والبيت ككل ، تفوتنا الفرصة للتبصر في اعماق الطفل كانسان فرد ينمو ، ويواجه ما يواجه من ازمات النمو .

نعيم عطية

ربوة دمشق

* * *

همس النسيم وسجعة النهر ... رجع الصدى لقوافل الدهر

دون الربى وبكل منحدر ... لروائع فيض من الشعر

وعلى الثرى عبر وموعظة ... عن غابر لوقائع نكر

والحسن أسفر غير منتقب ... برياضها واطل كالبدر

والسحر لا يحصى بغوطتها ... ويضيق عنه الشعر من حصر

ماست قيان الدوح من عجب ... مزهوة بمطارف خضر

وازينت بجواهر نظمت ... للنور دون الجيد والنحر

سطعت غلائلها بمؤتلق ... من يانع كالانجم الزهر

* * *

انهارها نشرت مبعثرة ... من دونها وتواكبت تجري

وكانها الاقدار حين جرت ... وتدفقت بالنائل الغمر

نهر بها يسري بمرتفع ... متوثبا في عارض الصخر

يتلوه نهر جاش غاربه ... بهواجس تنهل كالقطر

وحياله نهر بمنخفض ... ينساب منحدرا الى القعر

زحفت طلائعه مرفرفة ... اعلامها بقوادم النسر

وجرى يصفق في مساربه ... نشوان من عجب ومن سكر

مزماره في كل منعطف ... يشدو بآيات من السحر

* * *

واوابد للصخر قد نشرت ... في الافق اجنحة من الصخر

عطفت على الوادي تحف به ... كالام في رفق وفي بشر

شابت ذؤابتها وما وهنت ... قدم على الاحداث من ذعر

قامت مع الايام شامخة ... بمعاطس للنجم من كبر

ما عابها عري تحيفها ... او غض من شأن ومن قدر

ان الحقائق وهي عارية ... مرهوبة كانت مع الفقر

عري الحقائق زاد هيبتها ... في السمع والعينين والصدر

والسيف ما لم تعر شفرته ... عبء ولا يغنيك في امر

* * *

في كل منعطف يشع سنا ... عن غاتر ويضوع بالعطر

انباء من درجوا بصفحتها ... سطر تزجيه لدى سطر

من (عبد شمس) لم يزل اثر ... في سفحها كالسطر في سفر

وبكل زاوية معلقة ... اعظيمة عن وقعة نكر

وافيتها والشمس مائلة ... نحو المغيب ودمعها يجري

عطفت على الدنيا مودعة ... في شجو ملتاع وفي ذعر

والطير في الاعشاش هاتفة ... من لوعة ملء الحشا تفري

والريح تعبث في مساربها ... سكرى مع الانداء والزهر

دمشق

عدنان مردم بك



وديب ديب

الحياة في حدود الشعر الجاهلي

بقلم وديع ديب

ليست الحياة في أطارها الطبيعي سوى هذا المدى الواصل بين المهد واللحد . بيد انها في مفهومها الواقعي هي هذه السنوات التي يعيشها الانسان ، بعيدا عن الاسقام والالام. من اجل ذلك كان للاعمار حدود خاصة ، تفرضها البيئة او تمليها ظروف معينة . ولقد كان انسان الصحراء في جاهليته البعيدة ، يرسم لنفسه حدود هذه الحياة بالفصول الطبيعية . واحبها اليه فصل الربيع . فكان يقال مثلا : عاش فلان ثلاثين ربيعا او خمسين ربيعا . ذلك لان الحياة في الصحراء ، لا تعني لبنيها سوى الواحة الخضراء . وعلى هذا الاساس شبه طرفة العيش بالاعشاب والانسان بالسائمة التي ترعاها ، وشبه الموت بالحبل الذي يشد الى رجل الكبش ليبقى في متناول صاحبه :

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخى وثنياه باليد

وليس غريبا بعد هذا الوصف الصحراوي للحياة ، وبعد هذا التصوير الدقيق للعمر ان يتفرد طرفة بين شعراء عصره بهذه الفلسفة الوجودية ، ألتي يستخلص منها ان الانسان يحيا والحيوان يعيش . بمعنى ان الاول يختار نهج العيش والثاني مكره عليه . على أن كليهما في نهاية المطاف ، ذاهبان الى مصير واحد . وعليه كان لا بد له من ان يقول :

الا أيهاذا اللائمي أشهد الوغى ... وأن احضر اللذاتهل انت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي ... فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ويلاحظ انه بالطريقة التي دافع بها طرفة عن فلسفته ، هكذا فعل امرؤ القيس حيث يقول :

فبعض اللوم عاذلتي فاني ... ستكفيني التجارب وانتسابي
الى عرق الثرى وشجت عروقي ... وهذا الموت سالبني شبابي
ونفسي سوف يسلبني وجرمي ... فيلحقني وشيكا بالتراب

فالشاعر في هذه الابيات يوضح بما لا يقبل الجدل بان الموت لا يكون الا عندما يسلب شبابك منك . وما احسب تبرم زهير بالحياة وسأمه من تكاليفها الا من قبيل الشعور بانه عاش « العمرين » . وبأن الثاني منهما كان وبالا عليه . « والعمر » كما جاء في القاموس العربي يعني اربعين سنة وهذا ما حمل زهير على القول :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا أبا لك يسأم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم

هذا واستنادا الى مثل هذه القرائن ، يصح عندي ان يكون فعل « هرم » مستوحى من لفظة « الاهرام » الصامدة في وجه الدهر . . واذن فالهرم من الناس هو الذيارتفعت مداميك حياته واستطالت على عوادي الزمن . على ان الظاهرة الاجتماعية ألتي أنا معني بها في هذه الكلمة هي تحديد العمر باربعين سنة . من هنا يستدل ان الاعمار لم تكن تقاس بالسنوات فحسب ، وانما بما تشتمل عليه من أسباب النعيم . وهكذا فالعمر لا يحسب شيئا ان هو لم يكن نديا وارفا . . بدليل ما يقوله جرير الشاعر الاموي ، وهو القريب العهد من الجاهلية :

وماذا يبتغي الشعراء مني ... وقد جاوزت حد الاربعين

واغلب الظن ان لفظة « السنة » التي تقاس بها الاعمار هي من مشتقات « الوسن » على اعتبار المرء طيفا عابرا وان الحياة اشبه شيء بالحلم الذي يراود النائم في رقاده، بحيث لا يكون هنالك من معالم واضحة ، تميز بين اليقظة والنوم ، على حد قول المتنبي :

نصيبك في حياتك من حبيب ... نصيبك في منامك من خيال
ومن لم يعشق الدنيا قديما ... ولكن لا سبيل الى الوصال

ويتراءى لي ان لفظة « العمر » مستوحاة من معاني عمر بمعنى بنى وشيد على تقدير السنة الواحدة مدماكا يرتفع في بناء الحياة عاما بعد الاخر ، بما يتفق وقول ابي الطيب :

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها ... فمفترق جاران دارهما العمر

ويلوح لي ان زهيرا كان احرص شعراء الجاهلية على احصاء دقائق هذا العمر ، والظاهر ان هذا الوسواس لازمه في جميع مراحل حياته . وكان اشد ما يحز في نفسه همس العذارى حوله بانه جدير بتسميته عما وبمناداته عما طالما وخط الشيب راسه وذوت ازاهير شبابه . فاذا به يصحو عن حلم مخيف رهيب :

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله ... وعري افراس الصبا ورواحله
وقال العذارى انما انت عمنا ... وكان شباب كالخليط نزايله
فاصبحت ما يعرفن الا خليقتي ... والا سواد الراس والشيب شامله

وبديهي ان لا تكون صحوة القلب الا في حدود الاربعين بصورة عامة . وهي المرحلة الاولى من العمر والثانية هي ما بلغت بها الثمانين ، وقليلون هم الذين تمتد اعمارهم الى نهاية المرحلة الثالثة ، كما نسب الى حسان بن ثابت ، شاعر النبي العربي الكريم . فقد ذكر انه عاش ستين سنة في الجاهلية ، ومثلها في الاسلام . على ان اكثر الرواة ، كانوا يحددون عمر الشاعر على ضوء بيت قاله ، دون الاعتماد على منطق التاريخ . من ذلك ما نسبوه الى الشاعر

الصورة المحروقة

فوق الجدار ومنذ ايام الصبا — علقت صورة حلمي المنشود

نهر ومزرعة وبيت قائم — ما بين اشجار وبين ورود
وصبية حسناء يلهو حولها — اطفالها من يافع ووليد
وعلى ضفاف النهر يجلس زوجها — يرنو الى افق اغر بعيد

ومضيت في عهد الشبيبة سائرا — فوق الطريق الاسود الممدود
وتخضبت قدماي من اشواكه — بدمي ومن صخر اصم صلود
وانا حديد الطرف مشدود الخطا — اطوي المدى واسير سير عنيد
والحلم يبعد كلما دانيته — فيزيد في همي وفي تسهيدي

ومضى الشباب كأنه برق خبا — في ليلة ظلماء ذات رعود
وتدحرجت خمسون الا اربعا — في هوة الزمن السحيق المودي
والصورة الحسناء فوق جدارها — تهفو ليوم حياتها الموعود
حتى اذا عصف الاسى بي مرة — وذكرت شقوة عمري المنكود
انزلتها ونظرت فيها ساعة — نظر الوداع وكنت غير جليد
فبكيت واشتعلت بقلبي جمرة — مثل اشتعال النار بعد خمود
وذكرت اصحابي فمن متنعم — جم الثراء وبائس وسعيد
وانا كما قد كنت ايام الصبا — لم الق من دنياي غير صدود
وذكرت دينا قد اقض مضاجعي — واحالني كالميت الملحود
وذكرت فقري للبنين وزوجة — حسناء ساحرة الجمال ودود
وطغى بنفسي اليأس حين رأيتها — سدت علي طرائقي بسدود
والصورة الخرساء ترجف في يدي — مثل الضحية في صبيحة عيد
فرميتها في النار فالتهبت بها — وتقلصت كالخائف الرعديد
وتراقصت فوق الجدار ظلالها — ثم ارتمت واستسلمت لركود
ومضى الدخان الى العلاء كأنه — بعض الثكالى في ملابس سود
فنظرت في وجه السماء ولم اقل — شيئا سوى بصر اليه حديد

حلب

عمر ابو قوس

لبيد العامري ، في انه تجاوز الاربعين بعد المئة ، ولعلهم فعلوا ذلك لمجرد قوله :

ولقد سئمت من الحياة وطولها — وسؤال هذا الناس كيف لبيد

وغني عن البيان بان الانسان لا يسأم الحياة مهما طال اجلها . هذا ، وليس بين شعراء العرب القدامى من عانى من تكاليفها ، ما عاناه ابو العلاء المعري . ومع هذا ، فقد بقي حريصا على الاستزادة منها برغم قوله :

تعب كلها الحياة فما اعجب الا من راغب في ازدياد ..

ذلك لان الحياة ، لا تكون شهية الا اذا جمعت بين صحراء اليأس وواحة الرجاء . وبعد ، فكيف يمكن للمرء ان يتمتع بالظل الوارف ، ان لم تحرقه شمس الهجير .. ان الربيع لم يستطع ان يفرض حبه على الناس الا بفضل الفصول الباقية ، كما في قول صفي الدين الحلي :

فصل اذا افتخر الزمان فانه — انسان مقلته وبيت قصيده

وآية القول ، فان الاربعين التي عناها الشاعر العربي ، واشار اليها القاموس انما هي الواحة من عمر الانسان ولم يقصد بها ان تكون المعدل العام لمتوسط اعمار الناس ، كما يجري عادة في المجتمعات الراقية وانما هي الفترة التي تتدافع فيها الحياة على شواطىء الزمن .

وديع ديب

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

ذكرت في المقال السابق شيئا عن الحقيقة المجردة والحقيقة بالنسبة الى الشخص . وعلى هذا يمكن تقسيم الحقيقة عامة الى نوعين مختلفين : نوع يتوقف على الوقائع والمعلومات ، كالحقائد المذكورة مثلا في كتاب علمي او في موسوعة علمية ، هذه الحقيقة مبنية على المعرفة . والنوع الثاني لا يعتمد على المعرفة وانما يعتمد على الشعور والاختبار الباطني ، كالايمان بدين معين مثلا او الاخلاص لزعيم وطني . وهذه الحقيقة كما لا يخفى لها مساس مباشر بالحياة وبالنفس اكثر من مساس الحقيقة المبنية على المعرفة، ولذلك يجب البدء بهذه الحقيقة النفسانيةوالاعتماد عليها في افكارنا وارائنا الفلسفية والاجتماعية .

والوجوديون عموما يتخذون هذا مبداهم الاول ، كأنهم يقولون : أبدأ بقلبك قبل عقلك . وهم يصرون دائما على أن الشيء الشخصي الذاتي هو الشيء الحقيقي . ولذلك يقول كيركيغور ان محاولة استنتاج الوجود من الفكرتناقض صريح ، لان الفكر يزيل الوجود من المجال الحقيقي، ويبعثه في الذهن بالغاء موجوديته الواقعية ونقله الى مجال المستحيل، وقد اشرت في السابق الى المثال الذي استشهد به كيركيغور على قوله هذا . فهو يقول ان المثلث المتساوي الاضلاع ليس له وجود فعلي في العالم بتلك الصورة من الانتظام والدقة . وانما يمكن لهذا المثلث ان يوجد ذهنيا فقط اذا صرفنا النظر عن الظروف الطبيعية الفعلية . وكنت قد ذكرت ايضا منذ مدة في احدى المقالات القديمة كيف ان افلاطون الرياضي توصل الى نظريته في المثل العليا لما رأى أن الرسوم الهندسية لا يمكن ان تأتي مكملة خالية من كل نقص بالفعل ، مهما بذلنا من العناية ودقة الرسم والخطوط . ولكن هذه الرسوم مصورة تصويرا ذهنيا في الفكر باشكال مكملة لا عيب فيها . ومن هنا خطر في بال هذا الفيلسوف ان لكل شيء في هذا الكون صورة مكملة تكون موجودة في عالم المثل العليا، والاشياء الموجودة في هذا الكون أن هي الا صور ممسوخة عن تلك الصور المثالية .

والفرق بين افلاطون وكيركيغور هو ان افلاطون اهتم بالصور الفكرية بينما اهتم كيركيغور بالصور الواقعية المحسوسة . فهو يقول مثلا ان المعنى المجرد او الصورة الذهنية للشيء الذي نسميه (طاولة) لا يمكن ان نحصل عليه او عليها الا اذا تناسينا الاختلافات في الشكل واللون والوزن وغير ذلك بين طاولة واخرى لكي نستعمل هذه الصورة الذهنية عن هذا الشيء ونطلقه على كل طاولة . فنحن بهذه العملية الفكرية قد الغينا الموجودية الواقعية ونقلناها الى مجال المستحيل . فالتجريد الذهني هو في الحقيقة انتفاء من الوجود والواقع ، ولذلك لا يمكن استعادة الوجود من هذا التجريد . وعلى هذا يجب أن يرجع الانسان الى نفسه والى شعوره الداخلي قبل انيرجع الىالتخيلات الذهنية او التجريدات المعنوية . وعلى هذا كان الخلاف بين هيكل وكيركيغور .

ومن نتائج هذه النظرية لكيركيغور انه حض على ان ينظر الانسان في نفس الانسان الثاني قبل ان يحكم عليه ، اي ان الانسان يجب أن يحاول ان يضع نفسه موضع الانسان الثاني قبل ان يقرر موقفه منه . ولا يكفي للانسان ان يكون في تفكيره اعتباريا بل يجب ان يكون موضوعيا اذا كان الامر يتعلق بشخص آخر . وهذا يتطلب من الانسان تنصلا من التأثيرات الذاتية في نفسه حتى لا تكون اعتباراته الخاصة وحدها اساسا للحكم والقرار تعميه عن معرفة الامور على ما هي عليه في الواقع . ومن هنا كان التقارب بين الوجودية والفلسفة اليقينية الجديدة . فالوجودية تصر على تفادي الافكار المجردة دون الواقع الوجودي واليقينية تصر على تفادي الافكار الميتافيزيكية ولا تؤمن الا بالحقائق العلمية . وكما أن اليقينية تدعو الى قبول الافكار بعد ان تمحصها التجربة ويثبتها الفحص العملي كذلك الوجودية تدعو الى قبول الافكار اذا كانت هذه غير مستندة الى التخيلات الذهنية والتجريد المعنوي بل الى شعور داخلي .. ثم ان حقائق الاشياء لا تستند الى الماهيات ، كما قلنا في مناسبة سابقة ، وانما تستند الى ظهورها في عالم الوجود ، اي الى كونها مما يعيشه الانسان فعليا في حياته .

وهذه الحقائق بالطبع تتغير بتغير الازمان والظروف والاشخاص ، وقد عبر باسكال عن ذلك بقوله : « حقيقة في هذا الجانب من جبال البرنيس ، وبهتان في ذلك الجانب من جبال البرنيس » . فالحقيقة تكون حقيقة اذا صلحت في الوجود في ذلك الوقت . وهذا قريب من نظرة الفلاسفة العمليين Pragmatists الذين يقولون ان الاشياء تكون حقيقية صحيحة اذا ثبت صلاحها بالاستعمالالعملي. ومعنى ذلك ان الاشياء الحقيقية هي التي تصلح للاستعمال لا انها تصلح للاستعمال لانها حقيقية . ومسألة تغير الحقائق هذه من وقت الى آخر او من شخص الى آخر شبيهة بمسألة تغير الحقائق العلمية . فان العلماء اذا اكتشفوا مبدأ علميا عاما ، فانهم لا يعتبرون ان هذا المبدا قد اصبح امرا مسلما به ثابتا على الدوام ، بل يتخذونه

اساسا لابحاثهم واعمالهم الى ان يثبت لهم بطلانه . فهم يتعاملون مع القواعد العلمية الثابتة على انها موقتة وان البحث العلمي في المستقبل قد يكشف اشياء تقضي بتغير هذه القواعد او تعديلها . وكما ان الاساسات العلمية عرضة للتبدل من وقت الى آخر بفضل الابحاث العلمية الجديدة ، كذلك الحقائق الاعتبارية الوجودية تكون ايضا عرضة للتغيير والتبديل مع اختبارات وتجارب جديدة في الحياة .

ثم ان بين الوجودية والفلسفة العلمية تقاربا من ناحية اخرى ، وهي ان الوجودية لا تعتمد على استعمال العقل وحده Rationalism واهمال التجربة الشخصية الوجودية، مثل العلوم في الزمن الحاضر . فان هذه العلوم قد تخلت عن فلسفة القرون الوسطى التي حاولت ايجاد تعليل لهذا الكون ، واتجهت الى معرفة الاشياء جزءا فجزءا عن طريق التجربة والاختبار . فهي في الحقيقة لا تعتمد على التخيلات الفكرية وانما تعتمد على التجربة ، ولا تعتمد على الاستنتاج (من الكليات الى الجزئيات) وتعتمد على الاستقراء (من الجزئيات الى الكليات) . ويعتمد العلم ايضا على الملاحظة والمراقبة ويدون المشاهدات المتفق عليها ، ولكنه لا يحاول ان يعلل هذه المشاهدات ، لان هذا التعليل ليس من شأنه. فالاساس اذن لا يتحكم فيه العقل ، بل ان النظريات العلمية الاخيرة مثل نظرية آل Quantum قد زعزعت الاساس العقلي الذي كان يظن أن العالم مبني عليه ، وابانت ان العالم قد يكون تحت سلطة قوات تعمل على العمياء دون هدى . ومن ذلك مثلا النظرية الاخرى الجديدة التي تقول ان المادة تخلق من العدم بصورة متواصلة . هذه النظرية ايضا تكاد لا تتفق مع المفهوم العقلي الذي لا يؤمن بان شيئا يخلق من لا شيء في الاحوال العادية ، ومعنى ذلك كله انه لا يوجد في هذه الدنيا شيء ثابت ولا شيء مضبوط على وجه الدقة. وهذا هو الذي حدا الوجوديين الى الانكفاء والرجوع الى النفس والذات ، لان الشيء الوحيد الذي يؤمن فيه الانسان هو وجوده ، ومن هذا الوجود يجب على الانسان ان يستمد الحقائق . وهنا ، كما قلنا سابقا ، كان انقسام الوجوديين الى مؤمنين وملحدين ، مؤمنين لانهم يلجأون الى الله في هذه الحيرة والفراغ ، وملحدين لانهم ينكرون وجود الله ولا يلجأون اليه ، ولكنهم متفقون على ان هذا العالم سخيف لا معنى له ، وليس فيه شيء يمكن الركون اليه ، فهم لا يهتمون الا بكيانهم ووجودهم .

ولكن الانسان في هذا العالم بين امرين : اما ان يكون مخيرا او مسيرا . فالعلم يعتبر الاشياء مسيرة بصورة عامة . وكذلك علم النفس يعتبر ان الانسان في اعماله مسير بعوامل مختلفة ليس له سلطة عليها. ولكن الوجوديين يجب ان يعتبروا الانسان مخيرا اذا ارادوا منه ان يتخذ قراراته بنفسه بدون الاسترشاد بآراء خارجة عن نفسه وعن وجوده وهم يقولون ان هذا الوجود لا معنى له اذا كان الانسان عبارة عن لعبة في يد الاقدار ليس له حول ولا قوة ، بل ان الانسان نفسه في هذه الحالة يكون عبارة عن كمية مهملة في هذا الكون ، لا فائدة له من عقله ولا من تفكيره ، وهذا ما يرفضه الوجوديون . غير ان الوجوديين ، مع ذلك ، يجدون انفسهم في حيرة من امرهم ، فانهم من جهة يعترفون بان الحقائق تتغير بتغير الظروف والاشخاص، ومن جهة اخرى يريدون من الانسان ان يتمسك بالحقائق التي يصل اليها بعد التجربة والاختبار ، ونظرية كيركيغور هي ان الانسان يجب ان يعيش مع المتناقضات في هذه الحياة ، لان الانسان اذا فكر في التناقض الموجود مثلا بين التخيير والتسيير فانه يجد نفسه مضطرا الى قبول واحد منهما دون الآخر او الى رفضهما معا ، وهذا ليس في الامكان ، ولذلك يجب على الانسان ان يقبل هذا التناقض ويعيش معه . وكيركيغور يأتي بامثلته على التناقض من الاعتقادات الدينية . ولا مجال لبحثها هنا . وقد كنت اشرت في السابق الى مثال من ذلك .

ونود هنا ان نتكلم عن معنى الحرية عند الوجوديين ، حتى يتبين موقفهم عموما من حيث التخيير او التسيير ، وقد كنا ذكرنا في مناسبات سابقة شيئا من ذلك .والفكرة الاساسية عند الوجوديين ان الانسان يعيش في عالم اللاشيء ، اي في عالم فقدت القيم التاريخية التقليدية سلطانها فيه ، ولم يبق له من دليل الا نفسه ، اي حكمه الخاص على الامور . وهم يقولون ان الانسان ليس حرا فقط ، بل هو الحرية نفسها . فمهما كان الانسان على حالة فهو حر في ان يكون على حالة اخرى اذا اراد ، ولكنه غير حر في أن يريد التخلي عن حريته . واهم شيء يحتاج اليه الانسان هو ان يكون له الحق في الاختيار مستقلا برأيه عن غيره . وهذه نقطة مهمة عند الوجوديين . فلو اننا نعرف مثلا ان شخصا يريد الشيء (أ) دون (ب) ، وجئنا اليه بهذا الشيء (أ) ، فان الشخص ، اذا كان وجوديا ، لا يبدي ارتياحا لهذا العمل التطوعي منا ولا يعرب عن شكر لنا ، لان المهم عنده ليس الفرق بين هذين الشيئين ، وانما الفرق هو ان يختار الشيء الذي يريده هو بنفسه بدون أن يختاره له شخص آخر . وفي رأي الوجوديين ان المهم عند الانسان ليس الحصول على الشيء، وانما المهم كيفية الحصول عليه ، اي الحصول عليه باختيار مستقل لا دخل للغير فيه . والعلامة الفارقة على انسانية الانسان هي انه حر الاختيار وان ارادته ليست خاضعة لارادة غيره . وما نحصل عليه في هذه المعيشة لا تكون له قيمة اذا لم نحصل عليه نحن بانفسنا ولم يحصله لنا شخص آخر او اشخاص آخرون . ويقول سارتر ان الانسان من هذه الناحية كالفنان المبدع . فكما ان اهم شيء يتميز بها هذا الفنان هو حرية الابداع بدون ان يتقيد بقيود سابقة مفروضة عليه من آخرين وهو مرغم على الاذعان لها .

والحرية في الاختيار بدون الاسترشاد بآراء الغير امر ثقيل المؤونة صعب على النفس . وهو ايضا مشحون بالمسئولية من جهتين : الاولى من جهة اختيار الشيء نفسه والثانية من جهة ما يترتب على هذا الاختيار من نتائج . فالحرية في الاختيار مهمة شاقة تقتضي من الانسان ان يفكر طويلا قبل الاقدام على شيء ، لان الخطوة تؤثر في الانسان نفسه وتؤثر ايضا في الناس الاخرين . ولذلك فان اعمال الاختيار في هذه المعيشة لا تكون اساسا لمعيشتنا وحدنا ولمسلكنا وحدنا ، بل تؤثر ايضا في معيشة الاخرين ومسلكهم . وقد ذكرنا في مناسبة سابقة كيف ان الانسان الوجودي بقراراته الحرة يستطيع ان يجعل من نفسه شخصا آخر كما يريد ، وهذه مسئولية عظيمة يتحمل الانسان ما ينتج عنها فيما يتعلق بشخصه هو ، ولكنها ايضا مسئولية يتحمل الانسان ما ينتج عنها فيما يتعلق بالاشخاص الآخرين . فاذا اخترنا شيئا ، فنحن لا نختاره لانفسنا وحدنا ، بل نختاره للاخرين ايضا . ولا نقول عند الاختيار: « هذا ما اخترته لنفسي » ولكننا بالاحرى نقول : « هذا ما يختار » او « هذا ما يجب ان يقع عليه الاختيار » بصورة عامة مطلقة . وعملي في الاختيار لا يؤثر في شخصي فقط ، وانما يؤثر في البشرية جمعاء ، ولذلك فانني باختياري شيئا من الاشياء انما امثل البشرية باجمعها ، كما لو ان شخصا آخر في مثل ظروفي لا يختار الا الذي اخترته انا ، وهذا هو معنى الاختيار . معناه التفكير والتأمل والعزم قبل الاقدام ، ومعناه أيضا وضع البشر عامة في موضع الشخص الذي يختار ، اي جعل الاختيار نفسه شيئا موضوعيا خارجا عن الاعتبار الذاتي ، وجعل شخصية الانسان المفردة شخصية منزوعة عنه وحده ومجرده عن هذا الحصر الفردي . فالوجودية اذن تعمم الاختيار وتجعله منطبقا على البشرية جميعها ، رغم التخصيص الذي تقوم عليه ، وهي بذلك قريبة من نظرية الفيلسوف كانت الاخلاقية التي تقول : يجب على الانسان ان لا يريد ما لا يستطيع هو باستمرار ان يريد من جميع الاشخاص الآخرين الراشدين ان يريدوه . فالكذب مثلا مناف للاخلاق ، فانت ان اردت الكذب فانك لا تستطيع باستمرار ان تريد من كل انسان ان يكذب على الدوام . فاذا اخترت انا الكذب، فانني بهذا الاختيار احتمل مسئولية كبيرة وهي جعل الناس خرسا بكما .

هذه ، كما قلنا ، مسئولية جسيمة ، يقف الانسان امامها ذاهلا مرتاعا . وهذا الشعور بالذهول والارتياع هو الذي يعبر عنه الوجوديون بكلمة (كبد) Anguish او Angst حينما يقف الانسان عند مفترق الطرق ، ليختار هناك مسلكا واحدا من عدة مسالك ممكنة ويتوقف على اختيار هذا المسلك فوز الانسان في حياته او خسرانه . هذا الموقف الحاسم محفوف بالعذاب النفسي الذي اشرنا اليه من قبل ، وفيه يكون الاختيار بين هذا او ذاك الاختيار الاعظم . ويفرق كيركيفور بين اختيار الانسان لامر عادي في مجرى الحياة وبين اختياره لامر له تأثيره في مجرى الحياة نفسه . فاختيار الامر العادي اختيار بسيط ليس فيه توتر نفساني ويجري بصورة طبيعية ، ولكن الاختيار الاعظم يكون في المواقف الحرجة المتناهية في التوتر النفساني . ويعطي كيركيفور مثالا على حالة التوتر النفساني هذه موقفه هو في اثناء مهاجمته للكنيسة ولرجالها وانظمتها ، فقد راى نفسه بين امرين لا بد له من اختيار واحد منهما ، اما الانصراف الى حياة اللذة والسرور واما الاقلاع عن هذه الحياة والانقطاع للعبادة هذا هو الموقف العصيب الذي وجد كيركيفور نفسه فيه، ووجد معه انه لا مناص له من الاختيار الاعظم ، وهو الموقف الذي عبر عنه بكتابه اما\واما Either/Or هذا على مستوى فردي . ولكن الوجوديين الالمان عند نهاية الحرب العالمية الاولى وجدوا بلادهم في حالة بالغة من اليأس وفي موقف عصيب متوتر . تلك الظروف هي التي اوجدت شبنكلر الذي كتب كتابه عن انحطاط الغرب واوجدت امثال الشاعر رلكي الذي دعا الى العكوف على تأمل الموت ، والفرار من الحياة . ولم يكتف بان يدعو نفسه الى هذا المصير الفنائي ، بل دعا اليه كل انسان ، وطلب الفناء للعالم لان العالم لم يرض فكرته الكمالية . وجاء هايدكر على الاثر فاخذ آراء كيركيفور ووضعها في قالب فلسفي لم يكن يخطر لكيركيفور نفسه ببال . (وعلم ابا نواس من شعره ما لم يكن يعلم) .

وقد احتاج الامر الى حرب عالمية ثانية والى وضع فرنسا في موضع عصيب يائس حتى يتنبه الوجوديون الفرنسيون الى المحنة ومر الهزيمة ، ويجدون أنفسهم مجبرين على الاختيار بين ان يفقدوا كل شيء وبين ان يستعيدوا كل شيء . في ذلك الوقت كان من الواجب على الفرنسيين ، كما يقول سارتر ، ان يختاروا بين الخنوع والاستكانة وبين الشهامة والبطولة ، أي بين طرفي الموقف العصيب ويقول البير كامو في كتابه « الطاعون » ان الله في هذا اليوم قد منح عباده نعمة بان وضعهم في هذا العناء الشديد حتى يتوجب عليهم ان يكتشفوا من جديد تلك الفضيلة التي تسمو على كل فضيلة ويعتنقوها وهي فضيلة اختيار الكل او لا شيء .

ويتفق الوجوديون عموما على ان الاختيار لا يكون مبنيا على مبدا اخلاقي ، لان الوجودي لا يؤمن بوجود قيود تقيده، وهو موجود في عالم اللاشيء الذي ليس فيه علامات يهتدي بها الانسان عند اتخاذ قراره ، وليس فيه ما يجعله يختار هذا الطريق دون ذاك . فهو حر تام الحرية . عليه ان يختار بنفسه وبدون معونة . فكيف يختار ؟

لندن **حسن الكرمي**

صباح خلدة

فؤاد الخشن



من زرقة تغيم في الاعالي
وسمرة الجبال
قد طلعت اميرة الجمال
والنور من اهدابها الطويله
منتثر ... كالتبر من جوانح الفراش في خميله

وفتحت حلوتنا الاميرة
ساعدها ... وعانقت غرستنا الجميله
لاهثة الضلوع والانفاس
ورفرفت تعوم في بركتنا الصغيره
محاولة الصغيره
ماسحة بالشفة الدفيئه
قرميدنا المزان باللآلي
وغلغلت في موجة كأنها منديل
مطرز ... يفرشه نسيمنا البليل
في شطنا المهفهف الرمال
فتبعث الانغام في السكون
غمائما تحل في النفوس والعيون
كالخمر ... والنعاس

وزورق الصياد
ينساب في الابعاد
كومضة الضياء
مهدهدا بالموج والآمال
وحلم الرجوع في المساء
بصيده الكثير
لكوخه المزين الصغير

مشاعل الوزال حول بيتنا تضاء
واعين الشقائق الزرقاء في سفوحنا تفيق
ايقظها من نومها الشروق
ونغم مهدهد رقيق
لعابر تحمله الطريق
الى شعاب غابة الزيتون ... للظلال
وسرحة العيون والخيال ...

وجن في حقولنا مزمار
لهائم متيم يحار
تتبعه الخراف والابقار
والشاعر الغريق في احلامه السعيدة
في قصص غريبة من اعصر بعيده
يصحو على ابنته الصغيره
تدعوه للجنينة الخضراء
لسندس السجادة النضيره
لافق ملون يغمره السناء
لعالم الطفوله !



محمود محمد سليمان

العاطفة المقنعة

بقلم محمود محمد سليمان

* * *

يحرص الشعراء حين يسعدون او يألمون بتجاربهم الشعورية المختلفة ان يجدوا صدى هذه التجارب في نفس الناس ، ومشاركتنا الوجدانية للشعراء تزيد من سعادتهم او تخفف من شقائهم ، والشاعر لا يتغنى بقصيدة الا اذا وجد الاذن الطروب التي تلقف اناشيده في نشوة وهزة وابتهاج ، ولو علم الشاعر أن هتافه وانغام نفسه تتبدد في الهواء لحبسها ضناً بها من هذا الضياع ، ولكنه مطمئن الى ان ما هزه من عوامل الطرب والشجن ستحرك اوتار القلوب الحساسة ، فتستجيب لخفقات السرور والشجو عند الشاعر !

وصدق التجربة الشعورية هو الطريق الواضح لتعلق الناس بفن الشاعر ، ولكن الامر في صدق العواطف قد يداخله بعض اللبس فتتقنع العاطفة وتتلون في مساق التعبير فتحسب الشاعر عدوا وهو صديق ، ونتوهمه ذا مزق وحماقة وهو ثابت رزين ! ومن ثم ينبغي لنا ان نتريث في الحكم على الشاعر ، ونقدر عواطفه تقديرا منصفا حتى لا ندخل في حساب فنه ضيماً او هضما . وامر العواطف التي تختلج في انفس الشعراء ليس بالسهولة التي نبدي فيها الرأي او نحسم الحكم دون اعمال الروية واحكام النظر ، فالعواطف متقلبة متلونة وفيها التداخل والتناقض ، وعالم النفس الانسانية زاخر بالاسرار والغرائب ، واختلاط الاحاسيس في نفس الشاعر شيء مألوف مقرر .

من هذا يتبين ان العاطفة قد تتقنع وراء خيال غريب ، فيكون طريقنا الى كشفها محفوفا بالزلل ، ويتبع ذلك اننا لا نصدق في وصفها ، ولا نرصدها رصد اللقبن الذي لا يخدع بشية التعبير . ونحن نقرر ان عدم التأمل والروية في رصد العاطفة اوقع النقاد القدماء في اخطاء بدت في بعض احكامهم المتسرعة على نماذج صادقة من الشعر ومن ذلك مثلا انهم قالوا في ابيات كثير عزة :

وددت ـ وبيت الله ـ انك بكرة ... هيجان وأني مصعب ثم نهرب
كلانا به عر فمن يرنا يقل ... على حسنها جرباء تعدى وأجرب
نكون لذي مال كثير مغفل ... فلا هو يرعانا ولا هو يطلب
اذا ما وردنا فهلا صاح اهله ... علينا فلا ننفك نرمى ونضرب

قال النقاد في هذه الابيات : أنها معيبة ، اذ ليس من السديد ان يتمنى المحب لحبيبته هذا الشقاء ، وكيف يتمنى لها وله الجرب ليبتعدا عن الناس ، وليكونا في مأمن من العزال ؟ أئذا افردهما المرض المنفر في خلوة عن الناس يسعدان بنعمة الحب ؟! بل زعموا ان عزة قالت لكثير : لقد اردت بنا هذا الشقاء ! اما رأيت امنية اوطأ من هذه ؟!!

وانه لكثير من النقاد القدماء ان يفوتهم في هذا النص صدق العاطفة ، ومهما تقنعت العاطفة بهذا الخيال الغريب فانها لن تكون عبثا وسخفاً من القول ، ولننس في هذا المقام متعمدين ان الشاعر مزور العاطفة ، لانه تمنى الاماني الشقية لمحبوبته ، وما كان لمحب صادق ان يتمنى مثل ذلك لمن يحب ، فالحق الذي لا مراء فيه أن كثيرا صادق العاطفة تجيش نفسه بغرام عنيف ، وهذه الاماني الشقية التي زعموها لا تصدر عن محب ، انما هي رمز الصدق في العاطفة ، ومقبول من كثير ان يجمع خياله فيتمنى انفراده بمحبوبته بعيداً عن فضول الناس ونظراتهم فهو حريص اشد الحرص على ان يخلو بحبيبته ، كما هو حريص على أن يخلو ذرعه من هم الناس ومتابعتهم له ، والناس لن يتركوه ينعم بهناءة الحب بعيدا عن فضولهم ، بل ان المحب يتوجس من النبأة الخافتة يحسب وراءها عينا متطلعة متقصية ، وهو لن ينعم بالا بحبه الا اذا سرق غفلة الناس او اهماله الناس ، ومن اجل ذلك سدغ خيال الشاعر ان يكون مع حبيبته صورة غريبة : بكرة من الابل هجان وفتى فحل قد اصابهما الجرب اذا وردا منهلا للماء صاح بهما الناس منفرين خشية العدوى والضرر وصاحبهما قد اهملهما فلا رعاية لهما ولا طلب ، اذ هو غني كثير المال وفيه غفلة تسمح له ان ينسى بعض ماله .

اترى في خيال الشاعر شططا او نفورا ؟ ايكون الشاعر على ما زعموا مزور العاطفة لما في حديثه من الاماني الشقية ؟!

اذا تناولنا المسألة من وجهة النظر العابرة كان كلام الشاعر شططاً وجموحا ، وكان تزويرا للعواطف ، وكان تجاوزا للمألوف من سنن التعبير ، واذا نبشنا عن اللباب رأينا في التعبير صدقا وتناسقا مع المألوف من مشاعر النفس الانسانية .

اذا ضاقت نفس المحب بعوائق الفضول والتعقب وقطع عليه الناس سبيل الاشواق وحرموه ارضاء الهوى المحروم فليعش في أحلام الخيال، وليجمع به الخيال بعيدا عما يتصور الناس وما يألفون، بل تستطيع ان تقول: ان الحب المكين لا يتعلق بالصور والاشكال، وليس غريبا عن المحب ان يتمنى ان تكون محبوبته صنما للحسن يطوف به كما يطوف العابد بالمعبود، او يكون معها طائرين غردين يأويان الى جداول المياه او يتنقلان بين افنان الاشجار. وكثير على طريقته الفطرية البدائية تصور ان يكون مع محبوبته صورة شاردة ربما لا يألفها الذوق العصري، ولكنها مألوفة في عصره، وأعني بالالف انه يرى في بيئته صورة الابل الجربى مقترنة بالبعد والانعزال، فاذا هفت نفسه ان يخلو بمحبوبته ويعتزل الناس وفضولهم فليس في مخيلته الا هذه الصورة، اذا ما سلكها في تعبيره فلا يغيب عنا انه يصور نفسه المحبة في صدق لا يشوهه ابدا انه اختار صورة تعبيرية فيها جفاء وبداوة وقد سبق الفرزدق كثيرا الى هذا التصوير المتبدى في حديثه عن محبوبته وقال النقاد: ان كثيرا أساء الاتباع حين قفى على آثار الفرزدق في هذا التصوير. والواقع أن اختيار هذه الصورة بسبب نضح البيئة وتأثيرها على الشاعر، ولا ملامة على الشاعر ينتزع تصويره من البيئة اذا كان صادق العاطفة فوار الشعور يقول الفرزدق:

الا ليتنا كنا بعيرين لا نرد — على حاضر الا نشل ونقذف
كلانا به عر يخاف قرافه — على الناس مطلى الا شاعر اخشف
بأرض خلاء وحدنا وثيابنا — من الريط والديباج درع وملحف
ولا زاد الافضلتان اسلافه — وابيض من دماء القمامة قرقف
واشلاء لحم من حبارى يصيدها — اذا نحن شئنا صاحب متألف
لنا ما تمنينا من العيش ما دعا — هذيلا بنعمان حمائم هتف

والغريب في امر النقاد القدماء أنهم يصدرون احكامهم وكأنهم تناسوا امرين هامين ذلك انهم — اولا — لم يدخلوا في حسابهم ان الخيال رمز الاحساس والشعور فلو قدمنا الصورة الخيالية على اساس انها رمز لطاقة شعورية لقبلنا من الفرزدق ومن كثير ما تخيلاه، فالواضح ان امنية الشاعرين على هذا النحو صدى لعاطفة صادقة واكثر من هذه الامنية الشقية كما بقول القدماء ان يتمنى الشاعر موت حبيبته كما تمنى حياده بن نجيه فقال:

من حبها اتمنى ان يلاقيني — من نحو بلدتها ناع فينعاها
لكي اقول: فراق لا لقاء له — وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ولم يخرج الشاعر عن حد الصدق فهو محب صادق وانه لمنطقي بمقياس النفس وفي حساب المشاعر اذ بلغ حبه حدا عنيفا طاغيا حتى اصبح يبدو في موقف المتناقض ولا تناقض، ولو لم يصرح الشاعر بان الحب هو الذي دعاه الى ان يتمنى لمحبوبته الموت لكان اقرب الاشياء الى عقولنا ان نفهم حبه القوي العنيف.

تصور الشاعر محبا صادق الحب ولكنه محروم قد نات به الديار وشحط به المزار فانبعثت في نفسه عزة قاتلة شديدة انه ولا شك يندفع بحرارة كأنما يريد ان يدمر هذا الحب وهو لا يستطيع ولا يرجو ان يمس حبه بفاجعة او الم!

ولو ارغم هذا الشاعر على السلو ما استطاع ان يسلو، اذ لا يملك ان يسلو والشعراء يقولون ما لا يفعلون!

والامر الثاني ان اعتبار النفس الادبي وتقديره اساسه انفعال الشاعر ونفسه الموارة بالمشاعر، وليس الخيال الذي يلجأ اليه الشعراء الا نافذة واحدة من نوافذ كثيرة تطل منها العاطفة، ولا اعتبار للخيال اي اعتبار الا اذا كان مصورا للعواطف، وقد تتقنع العاطفة بلون من الخيال يبدو في ظاهر النظر متناقضا معها ولكنه في واقع الامر دليل عليها، وليست العاطفة بالوضوح والتميز الذي يكشفها وجه واحد ظاهر من اساليب الخيال.

لقد اعتاد الشعراء ان يدعوا لاحبائهم بالخير والعافية وسلامة الديار يقول قائلهم:

الا اسلمي يا دار مي على البلى — ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ويقول آخر:

فسقى ديارك غير مفسدها — صوب الربيع وديمة تهمى

والشعراء صادقون في هذه الاماني وعاطفتهم المحبة صريحة لا مواربة فيها ولا التواء ولا تجد من احد معترضا على وضوح النفس، ووضوح التعبير في الكشف عن النفس، ولكن الامر يصبح ذا لبس شديد اذا تسترت العاطفة المحبة وراء صراخ الغضب في قول جميل:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى — وفي الغر من انيابها بالقوادح

وفي قول جنادة:

من حبها اتمنى ان يلاقيني — من نحو بلدتها ناع فينعاها

ومن طبيعة المحب ان يغضب ولكن غضبه تعلق بالحب وليس انحرافا عنه فجميل لا ينسى بثينة ولا يسلوها، وهو يتوله في حبها وان اوهمنا انه يدعو عليها! ونحن لا نخدع بفورة الغضب المصطنعة في دعائه على محبوبته، فلو حققنا الامر لكان دعاؤه الذي يشبه السخط جموحا في الهوى يترجم عنه هذا الدعاء الغاضب! فعينا بثينة الحوراوتان الهبتا فيه ضرام الهوى وانيابها الغر سعرت فيه لظى الغرام فجأر بالدعاء عليها وكأنه يقول: ما اشقاني بهاتين العينين، وهذه الانياب التي نضدت من در!

ولم يبعد جنادة عن طريق جميل فقد ملأ الهوى شغاف قلبه حتى اصبح اسير الهوى في حرمان يزيد من وطاء الغرام، فناء بما حمل من اثقاله فصرخ كالمجنون يدعو عليها بالموت!

ومن الخطل اذا ان نبادر الحكم على النص الادبي دون اعتبار العاطفة وقياسها لنعرف حظها من الصدق او التزوير، وكثيرا ما وقع النقد الادبي في احكام جائرة، لانه لم يقدر الموقف العاطفي عند الشاعر تقديرا منصفا ومن امثلة ذلك ما قالوه تعليقا على هذه الابيات للحارث بن خالد:

اني وما نحروا غداة منى — عند الجمار يئودها الثقل
لو بدلت اعلى مساكنها — سفلا واصبح سفلها يعلو

فيكاد يعرفها الخبير بهـا	فيـرده الاقـواء والمحل
لعرفت مغناها بمـا حملت	مني الضلوع لاهلها قبـل

قالوا : ان المحب الشاعر تطير على محبوبته حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ، وجعله مقفرا (١) ومقطع الصواب ان تعبير الشاعر لا معابة فيه ، ولا وصف اليق من انه قد لمس القلوب بصدقه وروعته ، والشاعـر لم يتطير على محبوبته ولا تمنى لها الدمار ، وانما يصور شعوره المحب بصورة فريدة لا يرقى اليها كثير من اوليـاء البيان ، لو تخيلنا منزل الحبيبة تبدل سفله علوا ، وعلوه سفلا ، وضل الناس في أمره فلم يهتدوا الى سبيل ، فان الشاعر المحب يهديه احساسه العاشق الى منزل هواه .

عيب النقد القديم النظرة الجزئية الضيقة التي تتحيف النص الادبي ، وتطلق الاحكام مغفلة اهم مقياس ينبغي ان تقاس به الاعمال الادبية وهو الشمول ، وتقصي الاثرالادبي كوحدة لا انفصام بين اجزائها ، ومن امثلة التحيف والهضم اعتبارهم ان الحارث ابن خالد في النص السابق يتطير على محبوبته ويتشاءم ، وهذه الفكـرة ابعد ما تكـون عن جو النص ذلك ان الشاعر الذكي الصادق في محبته لا يضل عن المكان الذي انبعث فيه هواه ، ولو محيت آثاره ورسومه! فمن اين يؤتى الشاعر بانحراف في التعبير عن فكرتـه ؟! الامر كما ترى واضح لا عسر فيه ، وارتباط الابيات بعضها ببعض لا يدع مجالا للنظر السديد ان ينحـرف في فهـم الابيات عن قصد الشاعر ، اذ لم يخطر على باله ـ فيمـا نظن ـ انه يقصد انهدام بيت محبوبته على راسها وما الذي يريده الناقدون من هذا الشاعر بعد ان نفض اليهم دخيلـة قلبه ، واطلعهم على اهواء نفسه؟ هل عاب صدقه انه تخيل دار محبوبته وقد تبدلت اعاليها اسافلها ليبني على هـذا التخيل انه لا يضل ولا ينسى هذه الدار ، واذا ضلت العين لتبدل المعالم ، فالقلب الخافق بالحب رائد الى منزل الحب، يبعد عنه الضلال !

لعرفت مغناها بما حملت منـي الضلوع لاهلها قبـل

واذا لبست عاطفة الشاعر قناعا من الخيال الغريب فان الصدق الذي يتستر وراء هذا القناع كفيل بان يمنح بيان الشاعر روعته ، ومن حق الشاعر ان يصور نفسه ويبين عن مشاعره بالوجه الذي لا يزور الصدق النفسي ، بل ان غرابة الصورة التي توهم الكذب دليل على صدق العاطفة وقوتها ومن هنا كان جميل بثينة صادق العاطفة واضح الصبابة في قوله :

الا ليتني اعمى اصم تقودني	بثينـة لا يخفـى علي كلامهـا

ووجه الصدق في حديثه ـ وان خالف النقاد ـ انـه يتمنى قربها ويتشهى حديثها ، فلو لم تسعفه الظـروف لتحقيق هذه الرغبة الا في حال يستدر فيها عطف الناس ، ويبذلون له الرحمة رثاء واشفاقا لصادف ذلك هـوى في نفسه ، واذا قادته بثينة وهو اعمى اصم لم يعم عـن محاسنها ، ولم يخف عليه كلامها ، فان قلبه المحب لايحجب عنه جمالها ولا يحول بينه وبين سحر حديثها . ولم نقول مع النقاد انه اساء التعبير لما في حديثه من الاماني الشقية؟!

الحرفية والوقوف عند ظاهر الاشياء سبب هذا الحكم الجائر ، ان جميلا لا يتمنى اماني شقية لنفسه ، لانه يرجو السعادة بالحب ، والحب نعيم خالص ، وانه لسعيد بحبه حتى اذا تخيل الناس فيه الشقاء ، وليس في حديثه اكثر من انه عبر عن نفسه المحبة بالصورة الغريبة . والغرابـة هنا لا تزيف الصدق ، وانما تكشف عنه وتكون دليلا واضحا عليه ، وللعاطفة في التعبير اوجه ودلائل ، ولا يصلح وجها للعاطفة المشبوبة الملتهبة الا الخيال الغريب . وكيف يعاب الغريب من الخيال وهو رمز الاحساس القوي الصادق ، وحين يبلغ المحب درجة التصوف في حبه ـ ان صح هذا التعبير ـ يبدو البيان وكأنه خارج عن سنن المألوف مـن الكلام ، هذا طبيعي ، لان شعوره بمحبوبته قـد اصبـح خارجا عن سنن المألوف من الحب ، والذي يهدي الناقـد الى معرفة مدى الصدق في حديث الشاعر ، والمطابقة بين بيانه ومشاعره هو الثاني في الولوج الى اسرار الشعراء ، ودخائل قلوبهم ، ومن ثم لا يلتبس علينا ان نكشف وجـه الصدق في التعبير ، فقد يبدو الشاعر قاسياً على نفسـه ومحبوبته وهذه القسوة عنوان الرحمة والحنان والتولـه فـي الحـب .

وهل كنا نتصور ان يتمنى المحب العمى لنفسه لتقوده محبوبته ، ذلك غريب شاذ اذا تخطفنا الامور وتعجلنـا الحكم ، وحين نأنس بالشاعر ونتلطف في الدخول الى نفسه، لا تدهشنا غرابته ولا جموحه ، اذ ليس في حديثه غرابة ، او مظنة جموح ، انما هو محب صادق ، ولاصحاب القلوب اذواق واحوال ، يختل العباس بن الاحنـف اذا حالـت العوائق بينه ومن فوز محبوبته ـ ان تغشى اعينهما غشاوة فلا يبصران الدنيا ، ذلك انه يضن بطرفهما على الناس كما يضن هو بطرفه عليهم ، فاذا ما التقيا عادت ابصارهما الى الجلاء واستمتع بمحاسنها وسعدت هي بالنظر اليه هكذا يقـول :

الا ليتني اعمى اذا حيل دونهـا	وتنشالنـا ابصارنـا حين نلتقـي
اضن على الدنيا بطرفي وطرفهـا	فهـل يعد هذا من فعال بمشفق

واذا اقتنعنا بوجهة نظره ولم نعجل عليه بالحكم نخرج بنتائج باهرة من هذا الحديث .

شاعر صادق محب ودود قد اخلص الهوى فهو لا يحب ان يرى غيرها ، وتعمى عيناه عن كل ما سواها من مفاتن الدنيا وسحر الجمال ، وانه كذلك يغار اذا قلبت اطـرافها فـي مجالي الجمال ، ونقلت بصرها في الناس ، فلا يسهولنك اذا أن يسعد الشاعر بالعمى اذ احيل بينه وبين محبوبته فهذا عنوان الصدق على حبه ، وليس ظلما وتجنيا للهوى ان يرى محبوبته عمياء الا عنه ، فطرفها الساحر ينبغي ان

---

(١) اسس النقد الادبي لاحمد بدوي ص ١٦٣ نقلا عن الاغاني .

الريح .. والارض الخراب

وتعبر الوديان والعصور والحجر
حوافر الرياح تضرب الزمان دونما بصر
وفي الطريق تحرق البحار والمهود بالنشيج
وعودها جماجم الاحياء والشجر
وبوقها يعج بالضجيج
فيهدم القبور
يصم آذان قوافل البشر
ويرهق الظلام والنهار ..
آه يا حوافر الرياح
جلالك الثقيل لن يصيبه الكساح
ولن يكل ، ان ماواه ضريح ارضنا الخراب !

هناك ، في نهاية الزمن
هناك ، حيث لا بطون تنضح الشجن
ولا اقاصيص تنز ثمة افتراء
بأن قيسا ما ازال حبه الفناء ،
هناك ، حيث ليس لي رفيق
سريت الهب الرياح عبر كل واد
لارطم الجبال والسماء بالوهاد
اجوب كل غابر من الدجى ، سحيق
وأبدأ الحدود حيث تبدأ القرون
واسفح الدموع عند بدء ارضنا الخراب .

هناك حيث يبدأ البشر
ويبدأ الخـراب
الح في مخابيء الصهيل
عواء كل ذئبة يسيل من عيونها الشرر
ويصعد الصهيل سالكا مخاطر السبيل
الى السماء
فتشهق السدرة بالدماء
وتفجأ الصهيل بالحريق
فيجأر الصهيل بالنحيب والدعاء ...
وهو يلثم السماء :

« يا ايها الخضر تعال وانقذ الذئاب والخيول
فانه الصيد يظل يقرع الطبول
ويعلن الخراب ! »
فيجمح الحريق
ويبـدأ الخراب !

واسأل القبور :
« أفيك حقا كل من مات من البشر ؟ »
فتنثر القبور حولي اعين الحجر
تبكي وتروي قصة الخواء
وانه الصيد الذي يدفن في البطون
افئدة الرجال والصخر
هو الرياء ينزل القبور كي ينام كالدفين
من سالف القرون
فيذعر الرجال ، ثم يهرعون ...
الى القبور ، هاتفين أن من نعوا هناك
وانه الصيد الذي يدفن في البطون !.
فيهمد الضجر
ويرجعون هامسين : انه الخراب

واركب الرياح .. اسري بين اطلال من السماء
احتضن البروق ... كي انام دونما عروق
دون دم ، فلا ارى السدرة تهوي
تحرق القديم والجديد
وتسفح النشيج ، ترثي أيما وليد
مشوه ، يسعى الى الصيد ، يداه من حديد .
وترحل الرياح تدحر السدود
تهين عالم السماء بالحوافر النقود
وفي الطريق تعلن الدمار والخراب
فيشمخ الخراب !!

بغداد — عبد الامير حميد معله

يكون اثيرا به وحده ورحم الله ديك الجن عبد السلام بن رغبان اذ يقول وقد اعمل سيفه في محبوبته غيرة وحبا :

لكن بخلت على العيون بطرفها — وانفت من نظر العيون اليها

ان للعواطف والقلوب اسرارا قد تبدو ، وقد تستتر في الخفاء ، فاذا اغرب الشاعر في خياله ، لم يكن خياله زيفا لمجرد الاغراب ، فقد يكون الاغراب في التعبير على قدر الصدق في الشعور وللعواطف والمشاعر اوجه ، بعضها ظاهر وبعضها مستور .

الفيوم — ج٠ع٠م — **محمود محمد سليمان**

الدكتور شحاده - المطران ابو سعدى

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ - الدكتور سليم شحادة

ولد الدكتور سليم شحادة سنة ١٨٩٣ في رام الله عروس المصائف الفلسطينية وتلقى دروسه الاولية والثانوية في - مدرسة صهيون - الانكليزية بالقدس ونال شهادتها الثانوية في عام ١٩٠٧ والتحق بالكلية السورية الانجيلية (الجامعة الاميركية اليوم) ونال الشهادة الجامعية في عام ١٩١٠ وعلّم سنة في احدى ثانويات حمص ، وفي عام ١٩١٢ بارح فلسطين الى الولايات المتحدة طلبا للعلم واستقر اولا في مدينة اوماها بولاية نبراسكا وفيها التحق بجامعة نبراسكا وحصل منها على شهادة استاذ بالعلوم وفي عام ١٩١٤ التحق بجامعة كورنيل وحصل منها في عام ١٩١٦ على شهادة الدكتوراه بالفلسفة وكان موضوعه الرئيسي علم النفس ومواضيع اخرى في التربية والاداب .

وبعد حصول الدكتور شحادة على شهادة الدكتوراه قصد مدينة نيويورك والتحق بجامعة بروكلن وحصل منها في عام ١٩٢١ على شهادة بالحقوق ، وفي اعقاب الحرب الكبرى التحق بالجيش الاميركي وكانت مهمته منحصرة في التدريب البيسكلوجي . وكان يعمل مع العالم النفساني الدكتور ليتشنر ، وهو عالم مشهور بكتبه في الفلسفة وعلم النفس .

وخلال عمله في الجيش الاميركي استنبط جهازا حديثا للوقاية من الغازات السامة لكنه لم يسجل هذا الاختراع باسمه ولقد أسهبت امهات الصحف الاميركية في وصف هذا الاختراع الهام وتعداد التحسينات التي ادخلت عليه وعلى اثر ذلك منح الدكتور شحاده الجنسية الاميركية .

وبعد ان طويت راية بني عثمان وزال شبحهم المخيف من سورية الطبيعية عاد الدكتور شحاده الى فلسطين في عام ١٩٢١ وعمل في جريدة « مرآة الشرق » التي اصدرها شقيقه المرحوم بولس شحاده في بيت المقدس . ونشر فيها سلسلة مقالات قيمة ، وبعد حين عين مفتشا عاما لدوائر العدلية في حكومة فلسطين فقاضيا في المحاكم البدائية وظل يعمل في حقل القضاء الفلسطيني حتى عام ١٩٤٦ حيث أحيل على التقاعد .

وخلال عمل الدكتور شحاده في القضاء كان ينشر خواطره وتأملاته في مجلات محلية واجنبية ، وفي عام ١٩٢٨ توفي الكاتب الاسباني الشهير فنسانت بلاسكو ايبانيز (١) فانصفه بمقال نشرته مجلة « المقتطف » ، وكتب مقالا ممتعا عن الامام الشافعي نشره في « مرآة الشرق »

ويرى بعض ذوي العقول النيرة ان هذا المقال هو خير ما كتب عن هذا الامام الفقيه .

وتميز الدكتور شحاده بسعة الاطلاع ومعرفته مشاهير الكتاب الاوروبيين والاميركيين والشرقيين ، وهضمه اشهر آثارهم القلمية ، واشتهر بروح الفكاهة والذكاء المفرط والذاكرة الحادة والصراحة في ابداء ما يؤمن به وكانت دراسته في كافة مراحلها مجانا لتفوقه على اقرانه ، الامر الذي مكنه من الحصول على ارفع الشهادات العلمية من الجامعات التي انتسب لها في الولايات المتحدة .

من آثاره القلمية :

١ - « دراسات في السلوك البشري »
Studies of Human Behaviaur

و « استعمال المقاييس في الابحاث الخاصة بالاحكام المبنية على الميول والاتجاهات »
The Use of Scales in Research on attitude Judgments

وكانت الاطروحة التي قدمها لجامعة كورنيل ونال بسببها شهادة الدكتوراه تدور حول المباحث المار ذكرها .

٢ - « ما احسن عمل تصلح له ؟ »
What are you fitted for ?

وهو كتاب الفه بالانكليزية ابان اقامته في نيويورك وتناول فيه ابحاثا في علم النفس .

٣ - « الحرب العالمية الاولى » : كتاب بالعربية يتألف من عدة مجلدات وضعه بالاشتراك مع الدكتور فيليب حتي وطبعه في نيويورك عام ١٩١٧ .

٤ - « فلسطين وتجديد حياتها » : وضعه بالعربية وطبعه في نيويورك .

وبعد ان اعلن مشروع التقسيم في هيئة الامم اكفهر الجو السياسي في فلسطين عام ١٩٤٧ فغادر الدكتور سليم شحاده يافا الى بيروت واقام فيها وفي نيته ان يختم حياته بكتاب يضعه بالانكليزية بعنوان « خمس وعشرون سنة في القضاء الفلسطيني » لكن نكبة فلسطين واستيلاء اسرائيل على عقاراته وامواله في يافا أثرت في صحته فتوفي في الاسبوع الاول من شهر شباط ١٩٤٩ في بيروت ونقل جثمانه الى رام الله مسقط راسه ودفن فيها.

٢ - المطران جبرائيل ابو سعدى

ولد المطران جبرائيل ابو سعدى سنة ١٩٠٧ في بيت ساحور شقيقة بيت لحم ام المدن وتلقى دروسه الابتدائية في مسقط راسه وبعد ان نشبت الحرب الكبرى اغلقت المدارس أبوابها فانقطع ابو سعدى عن الدراسة .

وفي عام ١٩٢١ يمم القدس ودخل مدرسة القديسة حنة الاكليركية وهي المعروفة بـ « كلية الصلاحية » اليوم واكمل دروس الفلسفة وانتسب للسلك الكهنوتي ودرس اللاهوت مدة اربع سنوات وكان من الطلاب المتفوقين بهضم العلوم واستساغة مواد المعرفة .

وفي ذلك العهد تميز المترجم له بتوقد الخاطر وبحافظة نادرة واقبال على طلب العلم ، وبهذا الجد اتقن طائفة من اللغات القديمة والحديثة وخرج الى الحياة ، بهذه الثروة

الثقافية ، قوي الحجة في التدليل ، ناصع البيان في العرض ، حادا كالسيف في المنطق ، مضافا الى هذه المواهب التي تميز بها الفقيد وداعة في غير ضعف ، ولطف في غير ميوعة ، واقدام في غير تهور ، وصلابة في الحق على غير استبداد بالرأي ، وروح المرح في غير تبذل ، واسداء العون في غير منة !

وفي نهاية مطاف دراسته الاكليركية سيم الشماس ابو سعدى كاهنا في عام ١٩٣٣ باشراف المغفور له المطران بولس سلمان رئيس أساقفة شرقي الاردن للروم الكاثوليك (١٨٨٦ – ١٩٤٨) وعلى الاثر عين ابو سعدى استاذا في « الكلية الصلاحية » بالقدس فعلم فيها الطلاب الاكليركيين العربية واليونانية وآدابهما وظل يؤدي مهمته الثقافية هذه من سنة ١٩٣٣ – ١٩٤٦ .

وفي اعقاب مرحلة التدريس الطويلة عينه البطريرك مكسيموس الصائغ مساعداً للنائب البطريركي العام في الكرسي الاورشليمي بالقدس وفي صيف عام ١٩٤٨ عين الاب ابو سعدى نائبا بطريركيا عاما ورقي الى درجة ارشمندريت تقديرا لعلمه ونشاطه الروحي في انشاء بعض دور العبادة وتجديد بعضها واصلاحها واقامة المدارس والمستوصفات في القدس ورام الله وبيت جالا وبيت ساحور والطيبة .

ونظرا للصلات الحسنة التي قامت بينه وبين كبار المسؤولين الاردنيين ورجال الطوائف الاخرى، ولتجرده في خدمة الجميع بدون ايثار ولا تمييز ولعطفه على الفقير من اي مذهب سامه البطريرك الصائغ صباح ٢٥ حزيران ١٩٦١ مطرانا على قيصرية فلسطين مع بقائه نائبا بطريركيا عاما في بيت المقدس .

وابان النكبة الفلسطينية (١٩٤٨) كان ينزل الى شوارع القدس المهجورة والقنابل تتساقط على احياء المدينة الثكلى ، ليجمع الجرحى ويعزي المصابين ، وفي موجات الثلوج التي اجتاحت الاردن في عام ١٩٦٣ كان ينتظر غروب شمس كل يوم قاصدا العائلات المحتاجة ليوزع المساعدات وليقول مع « باستور » :

« هل انت عليل يا اخي ؟ هل انت بائس ؟

اني لا اسألك : ما دينك ؟ ما عقيدتك ؟ ما مذهبك ؟

اني اسألك : مم تتألم ؟ تعال لاضمك الى صدري ! تعال لاسعى ان اشفيك بكل ما لدي من امكانات ومحبة ! »

وجبرائيل ابو سعدى هو صاحب فكرة اقامة الحفلة السنوية الخاصة بالاولاد الفقراء في عيد الميلاد !

من المآثر التي لا تنسى أن منظمة السلام العالمية دعت هذا المطران العربي ذات يوم لالقاء محاضرة في ميونيخ بالمانيا حول السلام !

وفي الموعد المضروب دخل قاعة كبيرة ازدانت باعلام دول العالم ، ولدى اعتلائه المنصة لمح بين الاعلام علم اسرائيل مرفرفا فغادر المنصة من توه ورفض ان يلقي محاضرته قائلا : « لن اتكلم حتى ينزل هذا العلم ! »

ولما قيل له : « لا تنس اننا في منظمة السلام ! » اجاب بقوله : « لا سلام في العالم ما دام هناك ما يسمى « دولة اسرائيل » التي قامت لانتهاك السلام واستباحة العدالة ! »

وبقي جبرائيل ابو سعدى مصرا على موقفه وعناده الى ان انزل علم اسرائيل ... فالقى محاضرته معتزا بتغلب الحق على الباطل وبفشل ما هدفت اليه الصهيونية في ذلك الحفل العالمي !

من آثاره القلمية : أضفى الفقيد الاديب على الخزانة العربية طائفة من المؤلفات القيمة دونك اسماء شهيراتها :

١ – « الصرف والنحو » : سلسلة سهلة طريفة في قواعد اللغة العربية ، جنح فيها المؤلف الى الاسلوب المنطقي والتفصيلي ، مع تمارين نثرية وشعرية من ادبنا المعاصر .

٢ – « أنيسة : او اخوان العدل » : رواية مقتبسة عن الفرنسية تصور العدل واثره في المجتمع وتفوقه على الدوام بالرغم من النكسات التي تصيبه .

٣ – « ليس انت » : رواية اكليركية تصور طموح الشاب وتطلعه الى المثل العليا .

٤ – « النهضة الادبية في لبنان » : محاضرات القاها المترجم له في اندية القدس وحيفا ويافا وحزمها في كتاب.

٥ – « قمبيز في الميزان » : دراسة انتقادية لتمثيلية « قمبيز » بقلم احمد شوقي امير الشعراء ، وفيها قارن الكاتب ابو سعدى بين شعر شوقي وشعر فيكتور هوغو.

٦ – «حافظ ابراهيم : الشاعر المصري العظيم» : دراسة تناول فيها المؤلف ابو سعدى ، شاعر ، والبؤساء وحافظ ابراهيم ، شاعر مصر والمصريين وحافظ ابراهيم شاعر الشرق والشرقيين وختم هذه الدراسة الممتعة بدراسة حلل فيها شاعرية المرحوم حافظ ابراهيم .

٧ – « خليل مطران : شاعر الاقطار العربية » : دراسة حلل فيها ابو سعدى شعر مطران الرقيق وشاعريته الثرة الخصبة .

٨ – « فوزي المعلوف » : دراسة حلل فيها ابو سعدى الشاعر الفتى فوزي المعلوف وملحمته الخالدة «على بساط الريح» وكتب مقدمتها كاتب هذه السطور .

٩ – « الهتلريات » : دراسة تناول فيها المؤلف التمييز العنصري والحب وفلسفته والمبدا الشيوعي ، بالاضافة الى عشرات المحاضرات التي القاها فقيد الادب في الاندية الفلسطينية – قبيل وقوع النكبة – وقد تناول فيها الأدب العربي في سائر عصوره ومنها محاضرة حول « الشعر المعاصر » وقد القاها في النادي الارثوذكسي بحيفا و « الرمزية في الشعر الحديث » و « مقارنة بين دانتي شاعر ايطاليا في الكوميديا الالهية وابي العلاء المعري شاعر العرب في رسالة الغفران » .

عمان – الاردن **البدوي الملثم**

---

(١) (١٨٦٧ – ١٩٢٨) روائي وسياسي اسباني ، ولد في فالنسيا وقام بدور فعال في الحركة الثورية ، وقضى القسم الاخير من حياته في باريس بالاوساط المناوئة ملك اسبانيا واظهر عواطف ودية نحو الحضارة العربية وله « الدم والرمل » (١٩١٣) وقصص قصيرة كثيرة .

في المساء وكالعادة استقبلته دروب بولاق المتربة الملتوية كأمعاء وحش هائل متعفن وشعر وهو يجوس خلالها بين العربات المقلوبة والنساء والاطفال الجالسين امام الابواب القذرة المحطمة وامامهم اقفاص مقلوبة فوقها الطعمية والكرنب والكشري ، شعر ان مجهولا له آلاف الاذرع يقبض عليه ويمتص كل ما فيه من حياة ماضية متوهجة ويجبره على أن يجرب هذه التجربة الجارحة ، وبنظرة غاضبة مشمئزة راقب حركات يوسف الصديق الجديد في حياته يوسف المفعم بالاهواء والمرح يسير امامه مختالا بجسده الممشوق يطوح بذراعيه وعلى عينيه نظارته السوداء المشهورة تخفي عينين كلما نظر اليهما شعر أن كل شيء ينهار ويتعفن وينسحب قد تبلور في هاتين الحدقتين .

وعلى مرمى الافق المختنق بالمنازل المهدمة الكاحلة بدأت تظهر المقاهي بدكاكين صغيرة ضيقة امتلأت بالعديد العديد من الناس كأنهم اشباح من عالم آخر .

العيون الحمر لا يميزها عن المفحم المتقد المتطاير شراره في الجو المعبأ بسحابات كثيفة من الدخان ثمة شيء يحترق هنا ويتحول الى رماد ، ليست نيران عادية فلها رائحة اخرى وتأثير آخر وغمر خالد احساس حزين مبهم والغريب ان ثمة لذة مجنونة تصحب هذا الاحساس ، هذه اللذة ربما تكون هي اليد المجهولة التي تجذبه الى هذه الاماكن الموبوءة .

وبين اصوات البصاق والكح الذي يخلع الصدور المنحنية على الجوز عبر خالد ويوسف بعض هذه الازقة المتسخة وبدأت تتضح امامها قهوة المعلم عبده المشهورة في بولاق وسرعان ما قام يستقبلهم في ترحيب كاشفاً عن اسنانه الذهبية ناظرا اليهما بعينين شرستين قلقتين .

وتم كل شيء في بساطة وقام يوسف بدوره المعهود في رزانة ودربة:

ـ ربع قرش غبارة يا معلم من الحمرة والله .

ـ تولع هنا يا ابو حجاج .

واستدار المعلم عبده في حركة مختالة امرا كحكوح .

ـ رص ١٥ حجر بسرعة وغير ماء الجوزة الصاج .

وما هي ألا لحظات حتى كانت الاحجار قد رصت في نظام على الرخامة المزخرفة بأرقام وفوقها اسماء غريبة تسلى بقراءتها خالد بينما انهمك يوسف يدفىء التعميرة في يده ويقطع منها ويختم الكراسي في هدوء وتلذذ كأنه يصنع تمثالا او يرسم لوحة .

كانت رؤية يوسف وهو يؤدي عمله هذا تجذب انتباه خالد دائما

الدروب المختنقة

بقلم عبد الرحمن ابو عوف

وتجعله يسرح بعيدا بعيدا متأملا صديقه وحياته المنسابة في جنون وتهور متذكرا حكاياته التي يوزعها عليهم اثناء العمل كيف تربى في مدرسة الجزويت وقسوة القسس وتزمتهم وكيف كان يتمرد على هذا الكبت ويهرب مع زملائه الى الفرز يشربون المخدرات وينسون حياة المدرسة الداخلية الجافة ويوم احب فتاة مسلمة واوشك ان يسلم ليتزوجها لولا تهديدات والده وخوفه على اخوته ومستقبلهم ثم كيف فصل من الكلية واحساس الطالب المفصول عندما يعود الى الكلية وفزعه وحياته كموظف بالتوجيهية باحدى الوزارات وهواية

قصة

التمثيل وكيف قلبت حياته الثانوية والجامعية واخيرا انتهى به المطاف بالعمل في نفس المؤسسة التي يعمل بها خالد كل هذا يعرفه عن يوسف كثيرا ما افزع قلبه له في هذه الامسيات ذات الظلال ولا سيما ذكرياته عن المسرح وادوار لعبها ذات يوم .

نعم لعبت هاملت ذات يوم على مسرح الكلية واخذت ميدالية مازالت عندي تصور يا خالد ان اغلب الذين يلعبون الادوار الاولى في الفرق الآن بدأوا معي لكن اللعنة على الغرور او قل التردد اولا اعرف ثمة احساس ينتابني احيانا من هناك جرثومة مدمرة تنمو في داخلي واخشى ما اخشاه ان تظل تنمو حتى اصبح انا ايضا جرثومة .

ثم يصمت ويشرب ويضحك ضحكته المعربدة ويعود ويتكلم .

ـ لقد قلت لي ذات يوم يا خالد كلمة في الكتب لن انساها .

قلت على ما اتذكر سر اناقة يوسف وذوقه الجميل في اختيار ملابسه هو البقية الباقية من روح الممثل القديم فيه نعم يا للسخرية بدلا من ان اخرج مسرحية لا اقوم الان الا باخراج قوامي واعرضه .

هذا هو الميراث من الهواية المجنونة .

غير ان خالد ما كان يظن رغم ظنونه حوله او يتوقع رغم عمق تأمله لحياة يوسف وما يجعله يندفع الى هذه الاماكن المختلفة في سراديب المدينة وادمانه شرب المخدرات لدرجة ان حب الاستطلاع الجنوني ادى به لممارسة نفس الجولات المجنونة مع يوسف واقدم على التدخين معه في استهتار مبررا اقدامه بضرورة معرفة يوسف اكثر رغم ذلك ما كان يتوقع ان يحدثه هذه الليلة هذا الحديث الغريب المثير المفزع يوسف العتيد من كان يظن انه يطوي الصدر على جانب مظلم مفزع لا يزال يحتفظ به ولم يحك به لاحد .

واستيقظ علي كحكوح بجسده

صورتها

كيف أقبلت ؟ اين كنت ؟ أحقا ... أن سهم النوى اصاب فأصمى ؟
ليس عندي غير الدموع وقلب ... من تباريح شوقه كاد يدمى
أين تبغين أن تقيمي ؟ بصدري ؟ ... ان صدري قد رق لحما وعظما
أين تبغين أن تقيمي ؟ بقلبي ... ويد البين أمعنت فيه هدما ؟
أعلى العين ؟ انت والله اغلى ... أم على الرأس ؟ أنت والله اسمى
مرحبا بالحبيب قد جاء يسعى ... مرحبا مرحبا وان جاء رسما
أو يصيب الجماد روحا لمات ... الرسم مني والله لثما وضما
كنت عندي بالامس روحا ، ولكن ... انت عندي قد صرت روحا وجسما!

لا ترحلي

انا غير روحي لم يبق لي ... وتوشك تفلت من هيكلي
حملت الحياة على راحتي ... اليك ، وروحي على انملي
فان شئتها يا اعز الورى ... خذيها اليك ولا تحفلي !
كفاني ، كفاني الذي قد حملت ، ... ولولاك والله لم احمل
عذاب مقيم على القرب منك ، ... فكيف اذا شئت ان ترحلي ؟
حرام ، حرام تصدينني ... عن المورد السائغ السلسل
حنانيك بعض الذي قد لقيت ، ... فكيف بنار النوى اصطلي ؟
أغار من الهمس بين الغصون عليك ، ... ومن أنة الجدول
ومن خطرات نسيم الصبا ... ومن ذكريات الهوى الاول
فانت نعيمي ، وانت جحيمي ... ومهما تجوري سارضاك لي ...

لندن

سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

القمىء ورقبته السوداء وشفتيه الكبيرتين المطوطتين ، وبدا كحكوح يعمل في رشاقة وسرعة وخبرة يفرغ الجوزة ويأخذ الحجر ويضعه على فوهة الجوزة وبيده اليمنى يمسك مصفاة الفحم ويطوحها في مهارة ثم يقلبها على فوهة الحجر ويسحب النفس في تقطع محدثا صوتا منغما ثم يقدمها لهم قائلا في همس كريم : مساء الخير .

وبدأ خالد يسحب الدخان في بطء اولا وما لبثت رغبته ان تزايدت لابتلاعه وسرعان ما شعر بالصداع ثم اعقبته مقدمات غيبوبة خفيفة لذيذة انسته احتراق صدره واستسلم لشيء من الخدر اللذيذ يتسرب الى جسده واختلطت كل خواطره وتوالى دوران الجوزة وملا كحكوح المكان امام خالد كانما لا يوجد غيره .

بدا الملل يذوب وتتبخر الكآبة ومن اختلاط كل شيء عاد الانسجام يشرق امامه وهدأ كل شيء في داخله ونسي كل ما يحزنه المرض القائم في البيت في حجرة والده ، الفراغ الرهيب في حياته الراتبة الاحلام الهادرة وغير المحققة الندم كل هذا يتبخر ويتحول الى دخان يتصاعد ويدور في حلقات.

تقيء حياتك هنا فلعل التعاسة هي التي تحترق مخلفة السعادة لكنها سعادة النسيان المؤقت ثم ما يلبث كل شيء ان يعود اقسى وامر مما كان .

وفي هذه الجلسات يبدو كل شيء مضحكا وكل حكاية جالبة للسرور ويوسف استاذ هذه الجلسات دائما فيها تتوهج قدرته على تذكر أشياء غريبة ونوادر ومواقف تجعل القلب يرقص من الضحك غير انه الليلة يبدو قلقا مهموما صامتا وكأن شيئا داخليا يعذبه وفي البداية لم يهتم خالد بهذا الخاطر وظل يدخن في نهم .

وخيم الصمت على القهوة ولم يبق فيها الا اثنان من لابسي البلاطي

واللاسات يدخنان ويتحدثان في همس ، وتكاثف الظلام مستندا في تهالك على جدران الحارة الضيقة وخبا نور المصباح وضعف وعبق الجو برائحةالتعاسة ومل خالدالركود لولا ان فاجأه يوسف بقوله في جدية لم يتعودها منه :

ــ خالد بدأت تشرب بنهم وتتعود على هذا الملعون ثم سكت فترة رنا في حزن مفاجيء لضوء المصباح الشاحب وظلال طربوشه الملقاة على جدران القهوة الكالحة البياض .

ــ هذا الملعون بدأ يجذبك وهذا يعيد لي احساسا قديما بالندم يعيش معي ربما من عشرين عاما وينمو معي او قل يسبقني في النمو ويتجدد امامي .

وابتسم خالد في اشفاق منتظرا المزيد فثمة سر او شيء قديم مدفون في صدر يوسف ما زال يختزنه ويريد ان يزيحه عن كاهله .

غير ان يوسف عاد من جديد الى الصمت وابتعد كحكوح عن الركن المنزوي من القهوة امام نصبة الشاي والجوز وعبق الجو برائحة الفحم واحتراق المسل ودار كحكوحامامهم ثم مل الدوران واخيرا وقف امام باب القهوة يتلفت في قلق ويتفحص العابرين في الحارة بنظرات وقحة محترسة .

وصوت وابور الجاز على المنصة الرخامية يمزق صمت القهوة صوت مريض ملتاع وحركة اندفاع فئران في السقف الاسود المطرز بالعنكبوت المسن في اركانه .

واخيرا ابتسم خالد في اشفاق وهو يفرد طوله في استرخاء على الكرسي القش الاصفر المتسخمستسلما لغيبوبة رمادية حالمة ورغبة في عدم الاهتمام بأي شيء تحاصره رغم بقايا مقاومة من الوعي تحفزه وتثير فيه حب الاستطلاع الغريب المزوج بالدهشة نحو يوسف ووجومه وكلامه الغريب المعبر عن الندم وسأله في همس وابتسامة رثاء تغمر وجهه :

ــ ماذا قلت اعيد اليك احساس بالندم انت .. ها ها ها .

ضاعت ضحكات خالد امام العبس والوجوم والتعاسة هذا الاطار الذي يرسم ملامحه هذه الليلة وهذه اللحظات بالذات حتى يداه الفليظتان القويتان كانتا ترتعشانوهما متمسحان على ركبتيه .

نعم يا خالد نعم وفي الزقازيق بدأ الندم الحقيقي وفي يوم موحل الطرقات ومن يومها كلما خضت في الوحل تذكرت كل شيء وكأنه حدث امس بل الآن ... والوحل يملأ طرقات بولاق لذا فأنا اكرهها ورغم ذلك اجيء دائما .

يوسف يتكلم بطريقة غريبة هذه الليلة ويكشف عن جوانب غريبةمفزعة وبعد صمت .

ــ كان اليوم يا خالد في عز الشتاء ، والزقازيق تعوم في الوحل، وفي منتصف ليلة هذا اليوم المتجهم مات جدي ، وفي الصباح وبعد ليلة كلها بكاء وعويل وانهيار وجدنا البيت في الصباح يغرق في السواد ، كل الاقارب من النسوة يلبسن السواد وكلهن بسحنة واحدة والرجال يجلسون في المندرة متكئي الرؤوس غارقين في الوجوم .

وامرتنا امنا ان نصعد انا واخي الى السطح حتى تخرج الجنازة .

وعاد كحكوح يدور في القهوة ويدور صوت الوابور يضعف ونور المصباح يكاد يلفظ انفاسه وتكاد تغرق القهوة في العتمة وصوتيوسف يخرج متهدجا ويداه ترتعشانويمسح بهما على ركبتيه في توتر .

نعم وفي السطوح لعبنا انا واخي ميلاد انطلقنا كان ميلاد اصغر مني بعامين وفكرت في لعبة مجنونة ان اقذف الحمام بالطوب وهو يطوف فوق سطوح المنازل المجاورة ولماكن ادري ان ميلاد بدأ يقلدني كل ما ادريه ...

وصمت وغرق في ذهول وكاد المصباح ان ينطفيء لولا كحكوح الذي اسرع اليه وبدأ يعالجه .

آه كل ما ادريهيا خالد انني وجدت « ميلاد » هكذا فجأة يتدلى امامي من فوق السور ونصفه في الهواء ويدي تمسك بجلبابته نعم امسكت بها جيدا .

ــ نعم يا خالد قبضت على الجلباب كدت اجذب ميلاد منجديد الى ارض السطوح لولا .. نعم لا اعرف لولا انه خانني كل ما اتذكره ان جلبابه انفرد في الهواء امامي ورأيته .. رأيته ...

العتمة تغرق القهوة ويبدو ان كحكوح قد تعب والمصباح عاد يشحب وانطفأ الوابور وصاح خالد اسكت اسكت يا يوسف فأنت تلهث ما رايك بمغادرة القهوة ونكمل الحديث في الطريق .

نعم لنسر في الوحل من جديد .

وبدأت رحلة العودة من دروب بولاق ، عبروا الدروب العفنة المظلمة وباقدامهم داسوا على القاذورات والبصاق الذي على الارض .

وكتف في كتف مشيا معا ويوسف مصمم على ان يعاود الحديث المفزع المثير وخالد ينصت في وجوم .

لقد طار مخ ميلاد ويومها يا خالد فقدت النطق اسبوعا وظلت امي مشلولة شهرين وخرجت جثة ميلاد مع جثة جدي .

وبدأت الانوار تتضح من بعيد ومبنى اخبار اليوم يظهر في الافق والمترو يمر سريعا مضيئا بلونهالاخضر القاتم وهبت نسمات شهر اكتوبر الباردة مصافحة الوجوه في حنان ورفق وبرودتها تغسل صدأ الصدور .

وعند تقاطع الطريق امام مبنى الاسعاف صافح احدهما الآخر في حنان وصمت واخترقا فيهدوء لاول مرة دون صخب وضحكا كما تعودا كلما افترقا بعد جولة المساء في الدروب المختنقة لبولاق .

القاهرة عبد الرحمن ابو عوف

الغربــــاء

عبد المنعم عواد يوسف

القليوبية ـ شبين القناطر

كانت هناك
في كوخها الساجن الحزين
عصفت به كف السنين
وبنفسها حس بليد
راحت تحدق من بعيد
عبر الفضاء
من كوة الكوخ الحزين
والليل مكتئب رزين

وبدت هناك
في ظلمة الموت الجهوم
في صمته الغافي رسوم
لاحت يغلفها السكون
ويظلها شبح المنون
تلك اللحود
الغافيات ، مع الظلام
الحانيات ، على النيام

لاحت هناك
فاستيقظ الجرح القديم
واهاج خاطرها الاليم
فتذكرت .. ان لن يعود
ومضت تحدق في اللحود
وغفا هناك
امل تحطم من سنين
وبكت ، اجل ، وطفى حنين

هو لن يعود
هو لن يعود مع المساء
هو لن يعود ، بلا رجاء
هو لن يعود ، من المدينة
عند المساء
ينساب كالشبح الهزيل
وبصدره شجن ثقيل

وتذكرته
قد كان يجلس ها هنا
سأمان انهكه الضنى
ولقد يقص على الصغار
عن شهرزاد وشهريار
من الف ليلة
ويصفق الطفل الصغير
ويهلل الولد الكبير

يتسامرون
حتى اذا مات اللهيب
في موقد الدار الحبيب
وغفا الصغار من الكلال
وسعوا الى وادي الخيال
حلم لطيف
ينساب في الدار السكون
وتشيع في النفس الشجون

((يا فاطمه
اني حزين ، اني حزين
حال العيال البائسين
حال يهيج بي الانين
ويجدد الشجن الدفين
ماذا جنوا
حتى يقاسوا مثلنا
تلك التعاسة والضنى



يا فاطمه
العيد اوشك ان يعود
لكنما .. اين النقود
هذا يريد ، وذا يريد
لا بد من ثوب جديد
شيء كثير
لكنما .. اين النقود
والعيد اوشك ان يعود))

ومضى ومات
والهمس يأتي من بعيد
من ظلمة القدر العنيد
((يا زوجتي : حان الرحيل
يا زوجتي : صبرا جميل
اني اموت ..
لكن اخاف على العيال
يغتالهم صرف الليال))

وبكى الصغير
((يا أم ، اين ابي الحبيب
أوليس يأتي عن قريب
او لن يعود مع المساء))
فتقول : ((بل هو في السماء))
((ومتى يعود))
((هو سوف يقبل في الصباح))
وتروح تجهش بالنواح

وغفا هناك
في ركن حجرتها ، صغار
من بعد شيطنة النهار
رقدوا هناك ، بلا غطاء
الا القليل من الكساء
وعباءة
كانت لجدهم الكبير
هي كل مهدهم ((أوثير))

كانت هناك
في كوخها الساجي الحزين
عصفت به كف السنين
ويفارق الطفل الرقود
ويصيح : ((امي ، هل يعود))
ويهزها ..
فتروح ترنو .. للحود ..
وتقول : ((بل هو لن يعود))

من كتاب « صدق او لا تصدق »

للكاتب الامريكي روبرت ريلي

ترجمة مبارك ابراهيم

* * *

تلقى الناس هذا الكتاب بالترحيب يوم صدوره في يناير من عام ١٩٢٩ ورحبوا به الترحيب كله في طبعاته المتتالية التي بلغت الاربعين ..

وقرظه كاتب من الكتاب فقال : ــ اينما يكون هذا الكتاب « صدق او لا تصدق » والى ان تتفضن صحائفه ويبلى نسجه بحكم التقادم فانه سوف يظل ــ تلقائيا ــ الكتاب الذي تتطلع الى لقائه العيون وتمتد الى صحائفه الايدي امتداد الحنين والشوق ..

ونحن ناقاون فيما يلي بعض فقرات الكتاب ابتغاء التعريف والتثقيف ..

اسم الجلالة

يتكون اسم الله ــ جل جلاله ــ في جميع اللغات من اربعة احرف نذكر منها الامثلة الاتية : ــ بالعربية الله . بالمصرية القديمة AMON . بالانجليزية LORD . باللاتينية DEUS . بالفرنسية DIEU . بالاشورية ADAT بالهولندية GODT . بالدانماركية GODH . بالسويدية GOTH . بالفارسية SORU و ISTR . بالهندية RAMA بالسنسكريتية DEVA . بالاسبانية DIOS . بالاسكندنافية ODIN . بالاغريقية TEOS . بالاغريقية الاسطورية ZEUS بالفينيقية BAAL . بالبرتغالية DEUS . بالآرامية ELAH باليابانية KAMI و SHIN . بالهندوستانية HAKK و ILAH و EZID . بالآرية ، وهي مزيج من الهندية والفارسية BRAM.

المؤلف الذي لم يقرأ كتاباً في حياته

خطب الكاتب الفرنسي بيير لوتي ١٨٥٠ ــ ١٩٢٣ يوم احتفل بقبوله عضوا في جماعة الخالدين ــ وكان ذلك عام ١٨٩٢ ــ فقال : اني ايها الاخوان لم اقرا في حياتي كتابا من الكتب . ويرجع ذلك الى سببين . اولهما : الكسل العقلي . وثانيهما : خوني خوفا لا استطيع تفسير دوافعه واسبابه قبل ان ابدا القراءة .. ويوم تحدث اليه محرر مجلة « العالمين » عام ١٩٠٠ أعاد بيير لوتي ما سبق ان قرره . وزاد على ذلك قوله : ان هذه هي الحقيقة الوحيدة التي تتوسط كل الاساطير التي اضيفت على سيرتي ..

آخر ما اوصى به فرانسوا رابليه

اوصى الكاتب الساخر رابليه ١٤٩٤ ــ ١٥٥٣ فقال : لست املك شيئا في هذه الدنيا . واني لفارق في الدين الى اذني .. اما ما يتبقى بعد ذلك فاني اوصي به للفقراء والمساكين ..

انجليزية الملك ..

يطلق الانجليز على اصح الاساليب في لغتهم عبارة : « انجليزية الملك » . ويسخر الساخرون من هذا القول فيذكرون أن الملك جورج الاول ملك انجلترا ١٦٦٠–١٧٢٧ لم يكن يستطيع التحدث بالانجليزية مطلقا ..

نهر من الخل

نهر الخل «El Riovinagre» يجري في جمهورية كولومبيا (امريكا الجنوبية) وهو يجاور بركانا ثائرا .. والحموضة الشديدة التي يتميز بها ماء هذا النهر تنسب الى هذا الجوار . وقد تبين ان ماءه يحتوي على احد عشر جزءا في الالف من حامض الكبريتيك . وعلى تسعة اجزاء في الالف من حامض الكلوريدريك .. وهو من اجل ذلك لا تستطيع الاسماك ان تعيش في مياهه ..

حكايات ايسوب

ان الحكايات الاسطورية المنسوبة الى ايسوب كان قد كتبها كاتب يجمع في جنسيته بين الاغريقية والايطالية . واسمه بابريوس Babrius وذلك بعد اجيال مضت على وفاة ايسوب . ومن ثم فان لزاما ان تسمى « حكايات بابريوس » .. وهناك من المؤرخين من يقرر ان ايسوب شخصية لم تر الدنيا ابدا .. ومهما يكن من شيء فأن الحكايات التي نسبت اليه على وجه الافتراض قد ضاعت أصولها كلها ..

ولقد ذاع صيت ايسوب واصبحت القصة الايسوبية تطلق على كل القصص ذات المغزى الادبي والتي يكون ابطالها شخوصا حيوانية ..

وبفضل سقراط ومن جاء بعده من الكتاب نسبت قصص بابريوس الى ايسوب فظفر ايسوب بالخلود. ونعم بابريوس بضياع حقه في اكاليل المجد ..

الطيار لنبرج

لم يكن لنبرج اول من اجتاز المحيط الاطلسي طائرا في غير توقف فقد سبقه في عام ١٩١٩ المنطاديان سير جون الكوك وسير أ. ويتون براون (من نيوفوندلاند الى ارلندة.

وفي العام نفسه قام المنطاد الانجليزي ر٣٤ واجتاز المحيط من اسكتلندة الى امريكا وعاد على الطريق ذاته وكان يحمل واحدا وثلاثين راكبا ..

وفي عام ١٩٢٤ قام المنطاد زد ٣ من فريدريكسافن

بالمانيا الى ليكهرست بنيوجرسي وعلى ظهره ثلاثة وثلاثون راكبا .. ومن ثم فان لنبرج يكون السابع والستين ..

التزم الصمت ثلاثين عاما

ظل رب فرومر ثلاثين عاما كاملا لا ينطق بكلمة . وهذا اللون من التفكير قد فرضه الرجل على نفسه واقسم على ان لا يتحلل من هذا القسم وقد بر في يمينه ..

ويبدو ان الرجل في ساعة من ساعات الغضب قد لعن زوجته لعنا كبيرا ، وهي المراة التي كان قد تزوجها منذ امد قريب ، وسرعان ما اصابت الزوجة مصيبة الموت فظن الرجل ان لعنته هي التي اودت بحياة زوجته ..

امراة تلد وهي في التسعين من عمرها

كان ذلك في فرنسا وفي عهد لويس الخامس عشروكان ذلك في باريس وكان اسم المراة الحسناء بول فيشي .. وكان المولود ذكرا .. اما تاريخ مولده فكان اليوم الاول من شهر ديسمبر من عام ١٧٤٢ ..

الطفل الاعجوبة

كان اسمه « سيديس » . وكان ابوه دكتور بوريس سيديس احد اساتذة جامعة هارفارد .. استطاع هذا الطفل قبل ان يتم الستة اشهر من عمره ان يحفظ عن ظهر قلب حروف الهجاء . فلما بلغ العامين كان يستطيع القراءة والكتابة . وفي الحادية عشرة من عمره كان قد اتم تعليمه الثانوي والتحق بجامعة هارفارد فأذهل اساتذته بنبوغه وبراعته ..

الملك الذي تم تتويجه ملكاً قبل ان يولد

قد يبدو ان هذا الامر من المستحيلات . ولكنه امر قد حدث فعلا . وكان ذلك في القرن الرابع الميلادي . وكانت زوجة « الشاه هرمز » حبلى يوم وفاته . واثار عدم التحقق من نوع المولود الذي لم يكن قد راى النور بعد اطماع الامراء من الاسرة الساسانية الذين كانوا يأملون ان يكون الملك من نصيب واحد منهم .. وقام السحرة يؤكدون القول بان ارملة الملك هرمز حبلى وانها سوف تضع مولودها سليما معافى وانه سوف يكون ذكرا .. فلما سمع اقوام فارس هذا القول الذي قاله المنجمون بداوا يعدون العدة للاحتفال بتتويج المليك الوليد فاعدوا سريرا ملوكيا في ساحة القصر واجلست الملكة في ابهة ملوكية . واجتمع الناس من كل حدب وصوب. وجيء بتاج الملوك الساسانيين ووضع على المكان المفروض فيه انه يجن في باطنه وارث الملك العتيد .. وقام الخلق جميعا يركعون ويسجدون تحية للمليك الذي لم تره العيون .

وقد صدق المنجمون . وكان المليك الوليد ذكرا وهو الذي عاش يحكم فارس حكما طال مداه . وكان اسمه سابور الثاني الملقب بسابور الاكبر (٣٠٩ – ٣٧٩) ..

مقدم الربيع

الى الشاعر الصديق ناصر بو حيمد

اتاك شذا الربيع وانت لاه
وحيتك الازاهير الزواهي
فللنسمات شوق بالروابي
وللغدران لهو بالمياه
فاين غرامك الماضي اذا ما
شدوت بفتنة المقل السواهي
وكنت اذا دعاك الحب يوما
تسير الى الحسان على الجباه !!
لقد عاد الربيع وكنت قبلا
لسحر جماله تعصي النواهي
فخذ قيثارة الابداع واعزف
لحونا للعيون وللشفاه !
فهذي الغيد ظمأى للتلاقي
وان الهجر داهية الدواهي
وكل مولع بالحب صاد
الى مرأى السعادة والرفاه !

البحرين — احمد محمد الخليفة

اغنى الاغنياء بين الناس ..

هو كبير الملوك ومقدم الفراعنة العظام رمسيس الثاني الذي قهر الملوك والذي امتد ملكه من بلاد النوبة الى ارض الشام والذي فرض عليهم الجزية . وهو الذي كشف عن مناجم الذهب في بلاد النوبة ففاضت بالذهب خزائنه . وهو الذي ظل يستمتع بالملك والسلطان سبعة وستين عاما.

ولقد شهدت دول العالم كلها في ذلك الحين بسعة سلطانه وعظيم تراثه ..

البيضة المربعة ..

بيضة مربعة تمام التربيع باضتها دجاجة يملكها جيمس كوك من مدينة نيو بدفورد بولاية ماساشوتس بامريكا ..

حريم السلطان

لما تولى السلطان مراد الرابع (١٦٠٩ – ١٦٤٠) عرش تركيا ورث عن سلفه اربعين ومائتي امراة من نساء الحريم فراى التخلص منهن جميعا بوسيلة هي – في نظره – من انسب الوسائل .. اما تلك الوسيلة فكانت ان توضع كل واحدة منهن في كيس ثم امر فألقى بهن جميعا الواحدة تلوة الاخرى ليكن طعاما للاسماك في البوسفور ..

القاهرة — مبارك ابراهيم

ابي يموت

بقلم عبد المعين الملوحي

* * *

القسم الاول

تتنازعني الآن عاطفتان او على الصحيح مبدآن :
اولهما هذا المبدأ المادي الذي يعتبر الموت والحياة مسألتين ماديتين يشملان العالم كله ، فالمطر يتجمع وينهمر والسحب تتكاثف وتتحول ، والرمال تتفتت وتتجمع ، وكل شيء في الكون انما هو هذا التجمع الظاهر ، والتفرق الظاهر ، واذا كان والدي سيموت ، فتلك مسألة مادية ضرورية لا مناص منها ولا ضرورة للالم فيها ، وعلام الالم ؟! وانما ابي عنصر من عناصر هذه الطبيعة وجد حينا وسيذهب بعد حين ، وماذا يجدي ان ابكي عليه او الا ابكي ؟!

ان الحياة نضال ، ونضالنا في سبيلها ، في سبيل الحياة الحرة ، في سبيل المجتمع السعيد ، يقتضينا ان لا نكون جبناء .

ولقد مات آباء كثيرون قبلي وعرفت فيهم واحدا مصريا لم تقطر عينه بدمعة ، كأن يسير وراء الجنازة صامتا كأنه الجبل ، ولم يكن يفكر في الموت ، انه لا يفكر الا بان موت ابيه قد حال بينه وبين حضور الاجتماع الذي سيعقد في هذه الليلة ، لانه سيكون مضطرا لاستقبال المعزين .

وكان في جنازة ابيه صديق له لم يكن مثله في مبادئه ، وقد كان يبكي بكاء مرا ، فقد عرف أباه وفجع لمصاب ابنه فبكى ، ولكنه رأى ابنه نفسه لا يبكي فعجب من هذا الموقف ، ثم اكبره ، ثم اقتنع بفكرة صديقه ثم اصبح مثله . وقد زعم انه لن يبكي اذا مات ابوه ، ولكني اظن انه غير صادق فهو انسان عاطفي جدا على الرغم من انه اصبح ماديا جدا : ان الفكرة تبقى دائما غير العاطفة وماذا وراء الموت ؟ الحياة الآخرة ابعث ونشور وحساب فعقاب او ثواب ؟

ان البكاء في الانكار ، يكاد يكون اكثر ضرورة وادعى الى ان يكون كثيرا جدا ، واليما جدا فان في البعث عزاء للنفوس ، سيعود هذا الميت العزيز عليك مرة اخرى ، وستعود انت كما سيعود ، وستلتقيان ، وانت مؤمن ، وهو مؤمن ، وانت ترجو ان تكون من اهل الجنة ، او ترجو ان يغفر لك الله فتكون من اهلها ، وهو من اهل الجنة ، فأنت تعرف انه كان تقيا صالحا في السر والعلانية واذن فبكاؤك عليه لن يكون الا بكاء فراق قليل سوف يتبعه لقاء طويل ، وستتمتع به ما دمت مؤمنا بالبعث .

اذن ففي البعث عزاء لمن مات له عزيز ، ولطالما ذكر الشعراء ان موعدهم مع احبابهم الجنة ، او النار ، فالمهم عندهم انهم سيلقونهم مرة اخرى ، في غير هذه الدنيا ، ولكن ليس لمن لا يؤمن بالبعث عزاء . انه يرى ان هذا الفراق لا لقاء بعده ، وان هذا الانسان الذي كان يعمر قلبه ، ويملأ عقله ، قد ضاع منه الى الابد لا كما يضيع الدرهم من يدك وانت تعرف اين اضعته فاذا بحثت عنه وجدته ولكن كما يضيع عبير وردة سحقتها بيديك فطار ولم تجد من الوردة بين اصابعك الا قليلا من الماء والا قليلا من الحمرة . وثانيهما :

اني سأفقد ابا كان فذا في الآباء ، ولا اقول ذلك لانه ابي ، فقد تعود كل ابن ان يفتخر بابيه ولو كان غير ذي مفتخر ، ولكني اقول انه كان فذا في الآباء ، لانه على انه رجل ديني معمم كان من اكثر خلق الله تسامحا وحبا للناس ، وسكوتا عما فيهم مما لا يسكت عنه رجل دين ، وكان فذا في المشايخ لانه لم يكن يحقد على احد . ولم يكن يقع فيما يقعون هم فيه من حديث لا يكاد يتجاوز احد منهم غائبا عنهم ، حتى ينال آخر غاب منهم ، ولم يكن متعصبا زميما ، بل لم يكن يعرف التعصب قط ، كان يكفيه ان يؤمن هو وان يدعو الى الايمان في هدوء واناة ، غير متكلف ولا مدع ، بل هو لم يقد قط اية حركة رجعية بل لم يشترك في اية حركة رجعية . كان يقول لكل من جاءه ليطلب اليه ان يحتج على فلان لانه نطق بكلمات لا ترضي عامة المشايخ ، كونوا خيرا منهم ثم احملوا عليهم .

في سنة ١٩٣٦ تقدمت الى فحص البكالوريا الاولى واخفقت في الامتحان ، وكان اخفاقي باعثا على ثورة عاطفية نالت عقائدي الدينية عقيدة ، عقيدة ، ولم تكن هذه الثورة الا انتفاضة الم دفعت اليها خيبة امل ، وكانت ابعد ما تكون عن القناعة العقلية ، وهكذا فقد نظمت قصيدة الحادية طويلة ، وحاولت ان اغيظ بها كل رجال الدين ، فكنت انشدها في كل مجلس ، واصر على اصدقائي ليحفظوها ويعيدوها ، كنت ثائرا اطلب الموت في سبيل الثورة ، ولعل اندفاعي الجبار في سبيل الموت هو الذي جعلني اكثر حياة .

وجئت مرة الى تلك الغرفة التي يحتضر الآن والدي فيها ، وكان جالسا مع اخي يتحدثان فيما لا اعلم امسكت بعضادتي الباب وقلت في صوت راعد :

اسمعوا وافعلوا ما شئتم : ثم انشدت ثلاثة ابيات قاسية مرعبة . ما ازال اخشى ترديدها حتى اليوم .

واخي الشيخ الشاب ناقم صاخب يهجم علي ، او يهم بالوثوب علي ، فلا أتحرك من مكاني ، بل اضحك فاوغل في الضحك ، واخي الشيخ الشاب يهم ان يقذف بيد ابيه التي تمسك به وينظر اليه قاسيا منتقدا ، ناقما عليه تهاونه وتساهله ، واخي الشيخ الشاب صارخ في قوة :

أخرج يا ملحد ، الست تخشى ان يسقط علينا السقف ، الست تخشى ان يقطع الله رزقنا علينا فنموت جوعا .

وركض ورائي يلعنني وهربت امامه امد لساني ، وعدت بعد ساعة : وابي الشيخ الهرم جالس في مكانه لا يتحرك ، ناظر الي في حنان ، ثم قائل في ايمان عميق :

يا بني ، هذه مسائل ايمان ، لو بذلت كل ما في الدنيا من مال ، وكل ما في الوجود من جهد لتحولني عن الايمان بها لم تستطع .

وانا ذلك الشاب في الثامنة عشرة من عمره ، الممتلىء ثورة ونقمة ، انسحب من الباب ، وقد وضعت كفي على عيني ، وسترت وجهي بكمي ، ثم تواريت في زاوية بيت ، ابكي بكاء حارا . ويحك ايها المجرم ، دع لهذا الشيخ ايمانه لعل دعواته ان ترد عليك ايمانك .

ومثل هذا الاب يستحق ان يبكى عليه ، لا لانه اب فحسب ، بل لانه اب شريف عاقل عظيم .

وكان اكثر الشيوخ في عهد الاستعمار البائد لا يتركون علاقة تصل بينهم وبين الاجنبي ، وبين الرؤساء الذين ينصبهم الاجنبي علينا من متصرفين ورؤساء دوائر ولست اريد ان اتحدث عنهم ، ولا عما كانوا يفعلون . ولكني اريد ان اقول ان ابي لم ير في حياته وجه واحد منهم قط ، لم يره ، ولم يسلم عليه ، ولم يعرف بوجوده ، ولا ازال اذكر ان متصرفا من متصرفي حمص كان دائم الصلاة وراءه ، وكان اذا صلى وراءه لم يعرف انه موجود ، بل لم يكن يريد ان يعرف انه موجود ، فاذا جاء الى البيت قص علينا انه كان موجودا وانه لم يسلم عليه بدا لنا ماردا حقا ، ماردا يستحق الاعجاب والاحترام ولقد اكتسبنا نحن ابناءه هذا الخلق الابي منه ، او اكتسبه اكثرنا .

والثورة السورية التي كانت فخرنا ، على ما خلفت من جراحات وآلام، شهدت في أواخر حياتها ثوارنا ومجاهدينا مشردين تائهين ، يبحث عنهم المستعمرون في كل مكان ، ويبحث عنهم اذناب المستعمرين وجواسيسهم في كل مكان ، وكان نصيب من وجدوا ثائرا عنده ان ينفى من من ارضه او يسجن او يصيبه امر اكثر من النفي واكثر من السجن .

ومع ذلك فقد شهد بيت ابي ثوارا كثيرين شهد اكثر من ١٥ ثائرا في مدد طويلة ، وازمنة مختلفة ، شهدهم يأكلون مطمئنين ، ويعيشون مطمئنين ، على قدر ما يستطاع الاطمئنان في ذلك الحين .

ولكن اكثر الناس ما عرفوا ذلك ، وهم ايضا لا يعرفونه، فانا أؤكد انه لم يخطر في بال ابي ان يحدث الناس بحرف واحد مما كان يفعل ، لا في عهد الاستعمار ولا في عهد الاستقلال .

أمر بسيط لان من يفعله كان عظيما ، لا لانه في نفسه بسيط .

مثل هذا الاب يستحق ان يبكى عليه ، لا ان ابكي عليه انا وحدي ، ان كل من يوافق على البكاء ، او من يرى البكاء لزاما على انسان نفجع به باخلاقه بنفسه الطيبة السمحاء ، بنفسه الشريفة الرفيعة بنفسه الكريمة الباذلة، بنفسه التي ترى ان الحياة يمكن ان يكون فيها راي غير رايها ان هؤلاء الناس الذين يريدون ان يبكوا على مثل هذه النفوس يجب ان يبكوا على والدي .

وانا في الواقع سأبكيه . سأبكيه بكاء مرا ، لن اكون في هذا مخالفا لرايي في الحياة وفي الموت ، بل انه منه .

لقد خسرت الحياة بفقده انسانا انجب احياء ، ولم ينجب امواتا . وانا اسمح لنفسي ان اقول لها : اني حي. وابي ميت .

نعم ولكنه يحيا بي ، وسيحيا في اطفالي ، بل انه سيحيا في مجتمعنا الحر السعيد ذكرى لانسان حر او لانسان يقبل الحرية في الآخرين . عاش في مجتمعنا هذا ، في مجتمعنا العبدي الشقي الذي يدفن الحرية ويفتخر بدفنها .

القسم الثاني

لم يمت ابي اليوم ولكنه يحتضر .

ونحن بين امرين : اما ان نستمر في مداواته ، او كما تسميه العجائز عندنا ، في تعذيبه واما ان ندعه يموت .

ان الرأي الاول هو رأي الشباب ، انهم يعز عليهم ان يروا اباهم يموت ، فهم يبذلون اقصى ما وسعهم لانقاذه ، وهم لا يصدقون انه يحتضر ، انهم يعتقدون على العكس انه سوف يعيش . وانا من هؤلاء .

والرأي الثاني ، وهو رأي العجائز والشيوخ ، يطلب منا ان نكف عن الدواء ، فليس في الدواء غير العذاب ، أولم يقل لي والدي ، وانا اريد ان اسقيه جرعة من دواء احمس : كفى يا عيوني انتهت الحكاية وانا ارد الدواء الى النافذة وابكي .

وهم يزعمون انهم ادرى منا بالموت فيريدون ان يأتي هونا كما يشاء ، ويصرون على ان نستبدل بالدواء القرآن نتلوه عليه ليطمئن له قلبه .

الواقع اني ارى الحق في اصحاب الرأي الثاني ، ولكني يصعب علي ان اقتنع وان اسكت ، بل يستحيل علي ان اقتنع :

ان امامي جسما لا تزال تختلج فيه الحياة ومحال علي ان اصدق انه مات ، ما دام فيه عرق واحد يختلج بالحياة.

منطق العاطفة ، ولكنه منطق على كل حال ، بل انه منطق طالما انتزع من منطق العقل براهينه فحطمها وجاء ببرهان من عنده لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولقد طال احتضار والدي ، انه يحتضر منذ أول من امس ، وانا اعرف اخا لي هو عبد الباسط مرض خمسة ايام واحتضر خمسة واربعين يوما ، ومع ذلك فلم اكن اريد ان يموت ، لقد كنت أتمنى ان يطول احتضاره فهو على الاقل باق امام عيني ...

الساعة الآن العاشرة ، وانا اسمع صوت احتضار ابي في غرفتي هذه ، فلانطلق اليه سريعا لعله يريد ان يشرب ماء لعاله سيصحو ويتكلم .

القسم الثالث

مات ابي ... فانقطع بموته سبب عظيم من الاسباب التي كانت تصلني بالماضي ، وتجعلني احترم الماضي .

مات ابي ... فقلت ان دوري في الموت قد جاء ، فقد ذهب من كان قبلي .

في الساعة الخامسة صباحا جئت الى فراشه ، وجلست فوق بساط عنده ، وكان يغط في نوم عميق ، ولكنه نوم مقلق ، وجعلت اتأمله :

هذا اللون الاسمر قد علته مسحة من الصفرة فجعلته مثل الكافور ، وهذه اللحية الطيبة المباركة قليلة الشعر ، خفيفة العارضين ، وقد اصبحت خليطاً فيهما البياض وفيه السواد ولكن البياض عليها غالب ، وهاتان العينان تغوران في محجريهما قليلا ، ولكنها تواريان وراء اجفانهما بؤبؤين صغيرين اسودين يشعان ذكاء وفهما ويغوران ادراكا وعلما . وهذا الفم الصغير رقت شفته العليا حتى كأنها ورقة وتضامت شفته السفلى حتى كأنها وردت ، وهذا الانف الكبير يسرح ويمرح على خدين اسيلين فكأنه يريد ان يستنشق الهواء كله ويتمتع بالحياة كلها ، وهذان الحاجبان الكثيفان الغليظان تند منهما شعرات طويلات ترتفع حتى تكاد تلتقي بشعر الرأس وتنخفض حتى تكاد تختلط مع الاجفان . وهذا الرأس المنسجم المستدير ، قصير الشعر ولكنه غزيره ، لم تسقط الستون شعرة واحدة منها . ولكنها استطاعت منذ قليل ان تفرض الشيب عليه ، وهذا الجبين المستقيم لم تكد تخططه السنون فقد كان طلقا سمحا أغر ، وهاتان الاذنان الصغيرتان تقتربان من طرفي الرأس حتى تكادان تلتصقان بهما في أعلاه ، وتنفصلان عنه قليلا في اسفله وتمتد شحمتاهما قليلا ثم تنكسران قليلا فكأنهما معدتان لقرطين من الالماس الثمين لم ير اغلى منهما ولا احلى .

ويداه يلقيهما وراء راسه ، اصابع رقيقة ناعمة كأنها اصابع فتاة جميلة تداب على العبث بهما ليراهما الناس ويعجبوا بما فيها من دقة وتناسق ونعومة .

وانا انظر الى ابي وانا اتأمله ، كما اتأمل الشمس الغاربة في يوم خريفي عجيب ، وابي قربي على هذا الفراش الممدد على الارض يموت .

وجعلت اصواته تعلو ، فكأنما هو يريد ان يستيقظ قليلا ، او كأنما هو يريد ان ينام طويلا . انه منذ كان في المهد تعود ان يستيقظ قبل الفجر ، يوقظه ابوه الشيخ انيس وهو يسعى الى الوضوء ثم الى الصلاة في الجامع الكبير ، وتوقظه امه عند الفجر ليسعى هو نفسه الى الوضوء ثم الى الصلاة في الجامع النوري الكبير ، ثم تزوج فاصبح هو الذي يوقظ نفسه ليسعى الى الصلاة ، ثم كان له اولاد فهو يوقظهم من نومهم ، ولا ازال وانا احد اولاده استيقظ كل يوم قبل شروق الشمس كأنني اريد ان اسعى الى صلاة الفجر قبل الفوات ، ولعل ابنائي من بعدي سيظلون يستيقظون .

وتحرك ابي في فراشه وتململ ، ثم فتح عينيه الزائغتين انه لا يصرخ ولا يشكو ولا يئن ، لكأنه ماض الى نزهة او الى سيران ، لقد قضيت على فراشه نصف اوقاته . فلم اره مرة يتجهم وجهه او تزول الابتسامة عن شفتيه أو تفيض اللمعة من عينيه لكأن الموت عنده امر سهل جد سهل ، لعله نومة من النومات لتستيقظ على موعد يسيران الى عاصي « الجديدة » او بسفرة الى حمام « ابي رباح » نومة تحلم بيقظة فيها متعة وفيها لذة وفيها حبور .

انه لم يشر في مرضه كله مرة واحدة الى الموت ، ولم يذكر مرة انه يوصي بوصية ولم ينصح احدا من ابنائه كما ينصح المحتضر اهله ، أتراه يعتقد انه لن يموت ، كلا انه عرف منذ الايام الاولى من مرضه انه لن يقوم منه ، ولكنه ما الطفه وما اودعه ! لا يريد ان يزعج احدا حتى باخباره انه سيموت ، حتى بالايماء اليه انه عن قريب ميت ، ولقد ظل طوال مرضه يتحدث عن الحياة كما يتحدث عنها الاصحاء السعداء ، وكما كان يتحدث عنها وهو صحيح سعيد ، ولقد ظل طوال مرضه يذكر الله كما يذكره الاحياء الاتقياء ، وكما يذكره وهو حي تقي .

لم يطلب منا في مرضه الا طلبين اثنين :

اما اولهما فهو أن ننقله من غرفته تلك ذات النور الشديد الذي لم تستطع عيناه احتماله ، واما ثانيهما فقد طلبه مني :

امس دخلت عليه ، وقد آن ميعاد الدواء وهممت ان احمله اليه ، فنظر الي نظرة مشفقة عميقة ثم قال لي : كفى يا عيوني انتهت الحكاية . وادركت كل شيء .

لقد كنت شديدا في الدواء ، لا احتمل ان يتأخر عن تناوله دقيقة واحدة ، وحين كان يعجز اهلي جميعا عن سقايته ، كنت احمل اليه الدواء في هدوء وامد به يدي اليه في هدوء فيتناوله ويشربه دون ابطاء ولا تردد .

ولقد كان يناديني في الكثير الغالب يا فرعون ، ولقد كان يناديني في حالات السخط الشديد ، وما اقل ما كان يسخط ، يا عدو المعين ولقد كان يناديني في حالات الرضا ، وما أكثر ما كان راضيا ـ يا عيوني .

رأيت عددا غير قليل من المحتضرين ، ولكني لم أر اكثر هدوءا من ابي حين مات ... ما احلى الايمان انه يحملك على اجنحته حملا رفيقا الى القبر فلا تكاد تشعر بالموت كما تحمل الام رضيعها في أناة وفي رفق الى المهد ، نعم انه الايمان : الايمان بانك مخلوق من مخلوقات الله كتب عليك ان تحيا على ظهر الارض فتشقى كثيرا وتطيع الله متصنعا ما امر به ، وتنتهي عما نهى عنه ، وكتب عليك ان تموت فتبقى في قبرك حتى يوم تقوم الساعة ، وكتب عليك

* * *

انطلقنا ، وقودنـــا فـي السباق ... احرف اقمـرت على الآفـاق
ويراع ـ صنو الهدى ـ وثني ... عبد السحر فـي العيون الدهاق
فيه عرق ينث بالـدم بكـرا ... وجراح الصباح جـدول ساق
وقلوب هي اللآليء في الحب ... فأسلاكهـا « طـلاسـم راق »
اخـوة نحن كالغضير من الود ... تنزى من روحنا في العنـاق
كذب الموت ، كم جبلنا حياة ... وذرونـــا منابـت الاشـراق !
كم غرقنا في الحلم عمر ليال ... والليالي من الخوابي العتاق !
رب كوب ، من حسنا رشفته ... يد جـن ، وأي كـوب بـاق ؟
سندباد الخيال فوق ذرى المريخ ... فـي هبـة القلـوع الرقاق :
صـور كالنجـوم تجتنب اللون ... عمـودا لهيكـل رقـــراق
كم خبزنـا بالشوق من عصور ... واكلنـــا اعجوبـة الاشـواق !
فاحترقنا ، ومـا نثرنـا رمـادا ... وانتشينا بالصحو قبل التساقي
قربـت بيننـا الحقيقـة وحيا ... فاغتصبنـا قـارورة الاحـداق
فـاخ صـار بالمحبـة كبشـا ... واخ بـات معبـد الاخـلاق
نحن فينيق (1) والتجدد فينا ... مـن وريـد الحقيقة الدفـاق
فمـع الفجـر نجتنـي امنيات ... ومع الليـل ، سكـرة الاوراق
اسطر ، اضلع من النور والنـار ... وسكـب كالطيـب في الاعراق
عمرنـا الشعر ، والحياة انطلاق ... وبنـا كونت ـ دنى الانطلاق ـ !

(1) المقصود بفينيق الطائر فينكس

موسى المعلوف

ان تبعث حيا لتدخل جنة الله بما قدمت من عمل صالح في القليل القليل وبما يغفر لك الله ويرحمك في الكثير الكثير ، او الايمان بانك قطعة من هذه الاشياء التي تراها على الارض تعيش قليلا ثم تتفسخ تفسخا ثم تنحل انحلالا .

كلاهما ايمان : اما احدهما فيمضي بك الى الجنة واما الآخر فيهوى بك الى النار . وجعلت اطيل النظر في ابي ، وجلس اخي عبد اللطيف يقرأ القرآن ، وكأن الشيخ يسمع ، وكأنه يبتسم وكأنه يطمئن ، وجعلـت اصواته ترتفـع وحشرجته تتلاحق وانفاسه تعلو ، والقرآن يمضي مطمئنا هادئا يطير في الغرفة الهادئة المظلمة قليلا فيتعلق بالسقف ، ويقف عند الزوايا ويغطي الجدران ، ويحـوم حول هـذا الوجه الطيب الاصفر الجميل .

وجاءت « أم محمد » أما ام محمد هذه فهي اكثر مرانا على الموت من عزرائيل نفسه ، ليس في الموت شيء يخفي عليها او يغيب ، وليس في الموتى ميت يستطيع ان ينتزع عبرة واحدة من عينيها الكبيرتين الجاحظتـين دخلـت ام محمد في طمأنينة ونظرت الى المحتضر في طمأنينـة ثـم قالت في طمأنينة : اذهبوا فهاتوا الكفـــن وهاتوا المغسل فسينتهي قبل الظهر .

وانتهى الشيخ سعيد قبل الظهر .

ومضيت وراءه في جنازة طويلة ولكنها غير رهيبة لقد اضفت روح الشيخ المطمئنة الطيبة على جنازته طمأنينـة وطيبا ، وسارت الجنازة خفيفة تسبح سبحا فوق الاعناق .

وسار الناس وراءها : ما اظن قط ان الشيخ قد اساء الى واحد من الناس .

وارينا والدي في مقبرة جورج الشياح ، ووقف اهلي

يتقبلون التعازي ، ورأيت اني غني عن التعازي قلبي منتفخ وعقلي مشرد ، وانا اريد آن افر من التعزية ومن النـاس ومن البيت وفررت حقاً الى بساتين حمص .

ولبعض بساتين حمص دروب ضيقة جد جميلـة عـن يمينك وعن شمالك ساقيتان صغيرتان يروع حصاهمـا حالية العذارى ، فتلمس هذا الحصى تحسبه عقد لؤلؤها ، ولقد يخدعها عنه ، والاشجار فوق راسك من الجانبـين ، تلتقي أغصانها وتتشابك فانت تمشي تحت سقف اخضر ، واحد هذه الدروب الجميلة يبدأ بحينا في جورج الشياح لينتهي الى عاصي الجديدة ، وسرت فيه واضطررت فـي اوله الى ان اغض طرفي ، فهاهنا على يميني مسلخ ، هنـا على يميني تجزر البهائم جزرا ، ثـم ينتفـع بهـا الناس ، يأكلونها أكلا ، وهنالك كانت على يساري مقبرة يتفسـخ فيها الناس تفسخا ثم تنتفع بهم البهائم والديدان : ها هنا وها هنالك السنا نرى مقبرتين ؟ اولسنا نرى مجزرتين ؟ لا ادري .

وسرت في الطريق المظلمة ، والشمس تميل الى الغروب ، والدنيا كلها تدخل في جمال اوائل الخريف : كـل شـيء يقول لك في الطبيعة : انا الصيف ، ثم لا تصـدق هـذه الاشياء كلها ، لان هنالك ورقة واحدة صفراء قد انفصلت عن الشجرة فعبث بها الهواء قليلا وعبثت بعينيك كثيرا ، ثم هبطت الى الارض ، وقالت لك ، هي وحـدها ، انـا الشتاء فصدقها .

ويح الناس ما أقل ما يصدقون ، وما أكثر ما يكذبون ، يكذبون الطبيعة كلها ، ويصدقون ورقة صفراء واحـدة ، ويح الناس ، ما اقل ما يصدقون ، وما اكثر ما يكذبون ، يصدقون جنازة واحدة تسير الى مقبرة ، ويكذبون ملايين الاحياء يسعون في الارض في كل فجر وفي كل مكان .

وماذا ارى في هذه الطبيعة ، وقد نفضت الآن يدي من قبر ابي ؟ ومسحت اصابعي من كفن ابي ؟ ويح نفسي هل يرى الناس ما ارى :

الناس يرون حين يفجعون ، أن الطبيعة كلها تشاركهم في فجيعتهم وتشاطرهم آلام مصيبتهم : الشمس تكسف حزنا ، والقمر يخسف الما ، والازهار تصفر فليس لها عطر ، والارض تقشعر فما ترى لها وجها ، والبلابل تخرس فـلا تغرد ، والخيل تقضم اللجم غيظا ، والنجوم تغور ، والنهر يجف ، والاشجار تتكسر اغصانها :

كل ما في الوجود يشارك الانسان فجيعته ، والانسان في هذه المشاركة ينسى آلامه ، او ينسى جزءا قليلا منها ، والانسان في المشاطرة الطبيعة له يلقي عن عاتقه عبئا ثقيلا او نصف عبئه الثقيل ، فاذا هو خفيف الهموم .

اما انا فلست ارى شيئا يسيرا او غير يسير مما يـراه الناس : ليس في الوجود مخلوق يحمل عني همي ، فانـا احمله على ظهري وحدي وامضي به .

ليس في الطبيعة شيء يحمل عني مصابي فانا احمله في قلبي وحدي وامضي به .

الشمس ما تزال تلمع في كبد السماء لم يمسها طائف من الحزن ، ثم هي لا تدري انك حزين ، والقمر مـا يزال باهت الوجه ينظر اليك كالابله ثم هو لا يعبأ بك .

والزهر والطير والشجر والنهر ، كل اولئك يضحكون ، كما ينبغي ان يضحكوا من الشقاء من امثالك : الزهر يتفوح اريجه ، والطير تعلو اغاريده ، والشجر تصطفق اوراقه ، والنهر تتعابث امواجه ، وأنت، انت وحدك المهموم المحزون.

هنا ، هنا ، تجد احزانك ثقيلة جد ثقيلة لانك تحملها وحدك على عاتقك ، ثم لا ترى في الناس ولا في الاشياء ولا في المخلوقات واحدا يقول لك : ماذا تحمل ؟ فكيف تريد بعد ذلك ان يقول لك : هات احمل عنك .

وانت وحدك تسير في هذه الدنيا الطروب والطبيعـة اللعوب ، مكتئبا متألما ، حتى تصل بك الطريق الى بستان ، فتدخله وتجلس الى جانب غدير صغير تتلألأ مياهه فكأنها تسخر بك ، ويترنم حصاه فكأنه يهزأ بك ، وتمد الازهـار والاعشاب اعناقها اليه فتتبلل شعرها بمياهه ، ثم ترفـع راسها وتقول لك :

لو انك بكيت حتى تصبح كلك دموعا لم تستطع ان تعكر صفاء هذا الغدير الصغير ، ولم تستطع ان تمـلأ دقيقـة واحدة يأس هذا الغدير الصغير .

كل شيء حولي ضاحك ، وهناك ابي في قبره راقـد : وانا هنا لا ادري كيف انا ، لست حزينا لاني لا ابكـي ، ولست فرحا لاني لا اضحك ، ولست ميتا لاني اتحرك ، ولست حيا لاني لا ادرك مما حولي شيئا .

وقد تركت هناك في بيتي زوجا تنتظر عودتي لاخفـف شيئا من آلام ظهرها ، فمنذ حملت في بطنها ولدي . . . ولدي الذي سيرى الحياة بعد ستة اشهر من رؤية جده المـوت .

وماذا لقي ابي في القبر ؟

لست ادري . ولا يمكن أن ادري .

لقد قال لي والدي ذات يوم : ان الايمان لا يدركه العقل، وانما يشعر به القلب .

ومضيت الى البيت انفض عني غبار التـراب الـذي تمددت فوقه ، وانا لا ادري متى اتمدد فوق التراب فـلا استطيع ان انفضه عني .

ودخلت البيت اول مرة ولم اجد فيه ابي .

لقد بنى بيتا فسكنه قليلا ثم غادره كثيرا وتركنا فيـه ايتاما كبارا .

مات في السنة التي كدت اقول له فيها :

آن لك يا والدي أن تستريح من اعباء البيت ، فقـد اصبح ابنك رجلا قادرا على حملها عنك .

حمص — عبد المعين الملوحي

من وحي نيسان

٦٥/٤/٢

هذا التمزق في حزين عوائه   نغم يردد في دياجي وحدتي
نهم ، وعجز ، واشتياق جارف   يا شؤم ما القى به ، وبجنتي !

٦٥/٤/٤

لا تحجمي عما خلقت لاجله   وحبتك امك ـ عن هدى ـ حواء :
الجور ، والعرف المسخر ، والبكا ،   والعطف ، والهجران ، والاغراء...
لولاك..ما هذي الحياة سوى دجى   تقضي بحالك غمه الاحياء !

٦٥/٤/٨

اني لاسطيع استعادة ما مضى   منها بنشوته وطيب عناقه
وبناره طي الضلوع وذعره   مما يخيل من عذاب فراقه
...اما الذي هيهات يرجى بعثه :   عمر تردى في ظلام محاقه !

٦٥/٤/١٠

يا بلادي ... تقبلي من صدوق   صلوات الاخلاص والايمان
انا اغنيت في هواك حياتي   وبحبيك قد سما وجداني
فاغفري لي اذا نحوت بشعري   نحو صب يلوذ بالكتمان

٦٥/٤/١٤

الصبر والله، عبر الدهر ، كم ذكرا   عند الخلائق اما مسها الفشل !
وانت،يا قلب، لستالمطفى فدع ال   فرور واهدأ اذا ما خانك الامل
وصل ، وهجر ، ونجح لا دوام له   هذي حياتك حتى ياتي الاجل ...

٦٥/٤/١٥

تصلب القلب بعد الياس متعظا   فكيف عيني تندى فعل مدكر ؟
لقد اتى غافل عفوا يخبرني   عنها .. فثار حبيس الشوق للخبر
يلطف الحزن عندي انها سعدت   على شقاء بعيد الفور في عمري !

٦٥/٤/٢٣

جاء الربيع ... فما لشوقك رادع   يثنيه عن ابداع آن مزهر
حولان نفسك ، آية اكرم بها   تنجيك من ضجر الحياة المقفر !
آلاء هذا الكون لا تحصى ... لمن   سبر الوجود بفضل حس مبصر

٦٥/٤/٢٥

امسيت أرقب جهد عي   ني في القراءة باكتئاب
اني لاهوى ان ترى   روحي الحقائق في ضباب
لكنني لا استسي   غ ضلال عيني في الكتاب
العلم لا يهوى ـ كشعـ   ري ـ العوم في كأس الشراب !

٦٥/٤/٢٧

ارى الحب لا يأبى على الشعر عطفه   بلى ، فهو اطواق التمائم للشعر
بوجدك، يا قلبي، بصدقك والجوى   سموت الى ما لا يطال من العمر

٦٥/٤/٢٨

حنانيك ! لا ادري : أكان لقاؤنا   سرابا؟ ام استوفيت بذلك بالهجر؟

حلب   علي الناصر

المرح والهزل في قصر العدل في فرنسا

محامو العصر الجميل

بقلم جان بول لاكروى ترجمة سمير شيخاني

* * *

كانت نقابة المحامين الباريسية في مطلع هذا القرن تحت سيطرة ثلاثة اسماء كبيرة : المحامي شينو ، والمحامي ديمانج ، والمحامي لابوري ... وابرز الثلاثة كان لابوري ، وهو جبار ، اشقر اللحية ، عريض الرقبة ، وذو صوت رنان طنان عشرين مرة هدد بالقتل ، ولكنه استمر في الدفاع عن الكابيتين دريفوس . وفي ذات يوم بينما كان في طريقه الى المحكمة ، انهمر عليه الرصاص من احد المسدسات ، وكاد يموت . فلما عرف انه نجا من الموت همس قائلا : « لقد منحني الاله الطيب اسبابا تخفيفية ! »

جسديا كان شجاعا كما راينا . وكذلك كان شجاعا ادبيا ولم يكن ليتراجع امام جراة الاسلوب اللغوي . من ذلك انه خاطب مرة وكيل النيابة العامة بقوله : « سيدي المدعي العام ، ان الاهانات والشتائم التي سقطت من اعلى مقعدك لن تتوصل ابدا الى الارتفاع الى مستوى المقعد الذي اتولى منه الدفاع . »

ويبرز جمال الصورة وجراتها عندما نعلم ان مقعد المدعي العام يقوم فوق منبر يعلو مترا عن مقعد الدفاع .

ومن هنا تلك الضربة التي سددها حوالي ذلك الوقت الى المدعي العام شي ـ ديتانج ، احد زملائه القدامى : « يا حضرة المدعي العام ، اعلم ان بالامكان المرور من مقعد الدفاع الى مقعدك دون الارتفاع ، والمرور من مقعدك الى مقعدي دون النزول !..

لقد كان الخبث يتجول بحرية في اروقة قصر العدل في فرنسا !..

بعد ذلك بسنوات ، وحوالي اواخر تموز ١٩١٤ ، جرت المحاكمة في قضية شهيرة اخرى هي قضية مدام كايو ...

فقد نشرت جريدة « الفيغارو » في عددها الصادر في ١٦ آذار من تلك السنة رسالة حميمة من جوزف كايو ، وزير المالية آنذاك ، الى سيدة ، موقعة منه بهذه الكلمة « جوزيفك » !

وضحكت باريس باسرها ملء رئتيها ، وضحكت طويلا وكثيرا .. باستثناء مدام كايو التي خفت في الليلة نفسها وطلبت مقابلة مدير الجريدة غاستون كالميت ، واردته قتيلا بست طلقات من مسدسها ، متجاوزة بعملها ذاك الحق الممنوح لها ولسواها في مثل هذه الحالات ، وهو « حق الرد » (ولا شك ان جميع مديري الصحف يشاطرونني هذا الراي) . ومع كونها زوجة وزير المالية فقد احيلت الى المحاكمة امام محكمة الجنايات التي برات ساحتها .

وعندما حضر زوجها للادلاء بشهادته واضعا على عينه المونوكل ، متجبرا متكبرا الى حد انه سمح لنفسه ان يخرس المحامين من اسرة كالميت . فوقف اذ ذاك المحامي شينو وقال مهدئا الحالة :

لينتزعوا منا جبتنا الرسمية ويسلمونا ثياب الخدامين الرسمية ! ولكني اخشى الا يوجد ثياب يناسب جسمي !

وكان المحامي شينو امرا قصيرا ، رفيع العود لا تتجاوز قامته ١٦٠ سنتمترا طولا . ولكن ذلك لا يفقد الكلمة روعتها ، فقد كان يتحدث بشكل رمزي .

غداة الحرب العالمية الاولى عرفت نقابة المحامين في باريس ، الى جانب المحامي الشهير هنري ـ روبير ، اثنين من رؤساء الجمهورية السابقين هما : ريمون بوانكاريه ، والكسندر ميلران . كانا يترافعان دائما ولكن ليس في قضايا مشتركة (ليس معا ، ولا احدهما ضد الآخر) .

وكان هناك ستة محامين آخرين وصلوا الى سدة الرئاسة ، ولكنهم لدى مغادرتهم قصر الايليزه لم يلتحقوا مجددا بنقابة المحامين ، وهم : تييرس ، وغريفي ، ولوبيه ، وفاليير ، واوريول ، وكوتي . واثنان واربعون محاميا كانوا رؤساء وزارات . اما اولئك الذين شغلوا الوزارة من المحامين فعددهم اكبر من ان يحصى ! ولا يكفي مجلد ضخم لاستيعاب اسماء النواب السابقين الذين كانوا اعضاء في نقابة المحامين ، في الجمهوريات الخمس . فالمحامي هو الحيوان السياسي من الطراز المعلم .

اما راس المحامين ، بلا ادنى ريب او اشكال ، فقد كان وسيبقى لاجيال عديدة ، المحامي هنري ـ روبير . وقد لقبه زملاؤه واصدقاؤه بالامير ، واطلق عليه خصومه واعداؤه لقب « دون جوان محكمة الجنايات » . ولا عجب فقد كان يتمتع بسحر غريب حقا ، اشبه ما يكون بسحر الآلهة .

وهذا الذي كان يقال عنه « انه يكسب كل دعاويه » ، خسر دعواه الاولى ، وذلك في مستهل حياته القانونية . فلقد كان من الذهول بحيث انه انهى هكذا دفاعه : « لا ، ان موكلي لم يخامره قط التفكير الاجرامي ، كل ما كان ينوي عمله هو الانتحار اولا ، ثم القتل ثانيا ! »

اما القضية فكانت تتعلق بالكابورال جيوميه الذي قتل زوجته بطعنها اربعين طعنة !..

سمير شيخاني

محمود سيف الدين الايراني والقصة القصيرة العربية في فلسطين

بقلم نعيم حسن اليافي

***

يعد محمود سيف الدين الايراني الرائد الاول للقصة القصيرة في فلسطين ، فقد بدأ يكتبها منذ الثلاثينات وما يزال الى اليوم علمها المفرد — كما وكيفا — في النصف الجنوبي من بلاد الشام ، وهذا الامتداد الزمني الذي ينسحب على ثلث قرن أو يكاد ، يمكننا من ان نقف على مجمل التطور الفني والفكري للكاتب ، ويمكننا ان نرصد التنوع والتكرار في اعماله ونربط بين نتاجه وبين الفترة التي ظهر فيها لاول مرة قبل ان يضم في مجموعات ويصدر متأخرا ، كما انه يمكننا ثالثة من ان نعرف أين يقف الايراني في تاريخ القصة القصيرة الفلسطينية ؟

ولكي نعرف هذا الدور ، لا بد ان نعرف التطور الرئيسي الذي سارت فيه القصة القصيرة في فلسطين قبل الثلاثينات وخلالها الى اليوم ، وبصورة اخرى قبل النكبة وبعدها .

اما قبل النكبة ، فان اقدم القصص التي وصلتنا تعود الى ما قبل الحرب الاولى بقليل ونمثل لها بقصص مجلة « الزهرة » لجميل بحري ، وقصص مجلة ، « النفائس العصرية » لخليل بيدس ، وجميع هذه القصص «روايات مكثفة» قصيرة من ناحية الحجم وليست قصيرة من ناحية الشكل ، وقد استمر هذا النوع تقريبا الى منتصف الثلاثينات ، ويتوجه مجموعة « مسارح الاذهان » التي صدرت عام ١٩٢٤ لصاحب النفائس السابقة ، ولا تحمل قصص المجموعة على كثرتها (٣٣ قصة) — وخلافا لبعض الباحثين — اية قيمة فنية ، اذ ليست اكثر من نتاج كاتب مترجم تمرس بطرائق السرد والقص عن طريق النقل والتقليد والمحاكاة ، وكل قصصه التي قدمها لا تخرج في خصائصها عن خصائص قصص الفترة البدائية الاولى سوى أن بعض مظاهر التقدم في الاسلوب — والتي كانت من عامل الزمن — قد اصابتها .

ومنذ منتصف الثلاثينات وحتى النكبة ، فان حصيلة القصة القصيرة في فلسطين لا تزيد على كمية ضئيلة من الاعمال المفردة التي كانت تنشر متفرقة هنا وهناك كقصص عارف العزوني ، وعلى مجموعة عبد الحميد ياسين « اقاصيص » صدرت عام ١٩٤٦ ، ثم على عدد من المجموعات التي طبعت متأخرة وترتد الى هذه الفترة مثل « الاخوات الحزينات » لنجاتي صدقي . و «شعاع النور» ١٩٥٣ لاديب العامري ، وغيرها ، والشيء اللافت في قصص هذه المجموعات ان نصفها مترجم ، والنصف الآخر يتخالف فيه الشكل ما بين (مقالة) تخلو من متطلبات العمل القصصي ، أو (ريبورتاج) اجنح ما يكون الى الحدوثة التي تتشعب طرقاتها . او يكون الشكل (صورة) انشائية يختار فيها القلم من كل (وصف) صنفين على الاقل ليسا بذي وظيفة ، ولا يبقى من هذه الانماط لكي يشكل (قصة) حقا او اقرب ما يكون اليها الا القليل .

ثم جاءت النكبة في فلسطين فكانت تجربة عميقة هزت ضمير الانسان العربي في فلسطين وفي العالم العربي كله ، فعاشها بكل جزئياتها ، وعاناها بجميع ازماتها ، وليس بغريب ان تكون — حقا — بداية الانعطاف في تاريخ أدبه الحديث ، تصبغه بسمات معينة ، وتترك فيه طابعها المميز ، وتعمل على تشكيله في ظواهر قوية برزت آثارها واضحة في اعمال الادباء الذين طهرهم الالم ، وصهرتهم المعركة ، وجعلتهم الكارثة يحيون في اعماق وجداناتهم مع الآلاف اللاجئة المشردة في الخيام ، وعلى الدروب ، بعد انتجرعوا مرارة المصيبة قطرة قطرة ، وعاشوا في قلب المأساة بكل دفقات دمائهم ونبضات اعصابهم . وقد انهت — هذه المأساة بدورها — لدى عدد منهم ازمة الصراع ، فتحددت امامهم بصورة حاسمة ابعاد القضية ووجدوا انهم لا يحملون عبء انفسهم وحدهم ، وانما عبء غيرهم ايضا ، لقد كتب امين فارس ملحس الي يقول : « ... وبعد الكارثة اقتصرت كتاباتي على النكبة ... وكان اهم عامل في تكويني هو الالم » (من رسالته الي بتاريخ ٢٣—٤—٦١) وكذلك يقول عيسى الناعوري « ... ان اكثر ما كتبته الى اليوم متأثر بالنكبة ومستمد منها .. وان اهم ما اثر في أدبي هو نكبة فلسطين التي عشتها بنفسي .. وخرجت منها لاجئا مع اهل فلسطين » (من رسالته الي بتاريخ ٢—٥—١٩٦١) .

ولقد اتخذ هؤلاء الادباء للتعبير عن قضاياهم صورتين من صور التعبير : القصيدة الشعرية ، والقصة النثرية بنوعيها: الرواية ، والقصة القصيرة . ويمكننا ان نجد تحت النوع الاخير — وهو ما يهمنا هنا — مجموعات بعضها خلص لهذا الجرح الدامي ، وبعضها الآخر شارك في صياغته. ونستطيع ان نذكر عددا من الاسماء على سبيل التمثيل لا الحصر : امين فارس ملحس ، بديع حقي ، جبرا ابراهيم جبرا ، سميرة حسان ، سميرة عزام ، حليم بركات ، عيسى الناعوري ، فيليب مسلم ، نبيل شحادة الخوري ، يوسف جاد الحق ... وغيرهم .

واذا شئنا ان نقدم اهم اللمحات التي تثيرها وتشير اليها قصص المجموعات ، فانا نقدر ان نستقطرها في جملة نقاط:

١ — قدمت القصص صورا للبطولات والتضحيات كما عاناها الشعب الفلسطيني قبل المأساة تعلقا بارضه، وهياما بها ، ودفاعا عنها ، فاحتفظت بفترة مهمة من فترات

تاريخه ، وهي فترة الثلاثينات ، في حين ان القصة القصيرة السورية مثلا ــ وقد شهدت البلاد ثورات عدة ــ لم تسجل شيئا منها ، والقت التركة على كاهل الشعر ، وانصرفت الى معالجة القضايا الاجتماعية ، اما القصة الفلسطينية فقد عكست لنا اهتمامات شعب بمختلف قدراته واعمال رجاله توجهت للدفاع عن الوطن ضد اليهود الغازين ،حتى اذا جاءت معركة المأساة انتقلت معه الى الميدان تصور بطولاته وشجاعته ، وبين هاتين الصورتين للتضحيات قبل المأساة وبعدها ركزت القصص على قضية (الخيانة) ، فاوضحت ان ضياع فلسطين لم يكن نتيجة لتعاون الاستعمار مع الصهيونية فحسب وانما كان نتيجة للغدر وللمطامع والشهوات التي كانت تعصف في رؤوس السادة الارستقراطيين تجار الوطن .

٢ ــ انطلقت القصص بعد النكبة وراء المطرودين واللاجئين فوصفت شقاءهم وبؤسهم واحزانهم . وكانت تعرض ــ لبيان اوجه المفارقة وعظم المأساة ــ جنبا الى جنب صورتين متقابلتين لهؤلاء المنكوبين : الصورة الاولى عندما كانوا يرفلون في فردوسهم المفقود في اثواب من العزة والمتعة والسعادة ، يملكون المال ويحيون في بحبوحة ورغد من العيش ، والصورة الاخرى بعد ان اقبل الليل وعم الظلام ، واصبحوا مشردين لا مأوى ولا وطن .

٣ ــ ولقد اتسعت الصورة القاتمة الثانية ودخلتها الوان جديدة بحيث تستأهل منا وقفة خاصة لنرى قطعان اللاجئين والمشردين ، جموع الجياع والعراة ، كيف يداعب خيالهم طيف الرغيف الاسود ، وتصطلح عليهم عواصف الفواجع والمآسي ، وكيف يبيعون ما يملكون ابقاء على الرمق ، ويتحولون الى لصوص يسرقون اللقمة دفعا للموت . وقد ذهب الكتاب للتعميق من اثر الجانب العاطفي للكارثة الى التركيز على مصاير الفئات (النسائية) و (الشائخة) وعلى اوضاع (الطفولة) المعذبة التي انتهت الى اشكال بائسة لا تستدر العطف والاحسان بقدر ما تمزق القلوب اسى ولوعة ، وليس بعجيب بعد هذا ان نجد مادة غزيرة تدور كلها حول (الخيمة) ، خيمة البؤس والبهتان ، حيث الرجال يتعذبون ، والنساء يترخصن ، والصغار يتلوون ، والكل يعيش حياة القبر من قبل ان يحمل الى القبر .

٤ ــ اوجدت القصص بطلا جديدا هو « اللاجيء الفلسطيني » في سن شبابه ، بطلا تائها ومنكوبا ، وقد مر في مرحلتين : المرحلة الاولى بعد النكبة مباشرة حين شردته الهزيمة وصدمته ، وفجرت المأساة فيه اليأس والكآبة واشعلت عنده براكين الحقد على كل شيء ، فماج في ازمة اسلمته الى التمزق والانهيار ، وعاش في مخاض نفسي لم يورثه سوى الشك والحيرة ، واستكان بعدهما الى الحزن ، ولم يعد له من أمل غير مجرد الوجود في حاضره ، اما ماضيه فقد كفر به ، وبجميع الصلاة التي تشده اليه وتربطه بمجتمعه القديم ، كل ما اراد هو ان ينسى ، وكان النسيان بالخمرة تارة وبالمراة أخرى .

ثم جاءت المرحلة الثانية لهذا البطل التائه فنبذ السلبية والفرارية والهروب من الواقع ، ومن اليأس منه ، وتحول الى ايجابية بناءة فآمن بقدراته وامكاناته امته وشعبه وطرح على بساط البحث قضيته واخذ يدافع عنها بشتى الطرق ، ومع اعتقاده بان الزمن (يموع) مشكلته ، الا انه يتفاءل ويتوق الى المستقبل احيانا والى التغيير والثورة على واقعه البائس احيانا ثانية ، يدفعه عزم ، ويحدوه تصميم ويسيره أمل بأن الثلج مهما تجلد فسيذوب ، وان الليل وان طال فسيعقبه صباح منور أغر فيقضي وان يوم العودة آت لا ريب فيه .

وتحت تأثير هذا السلوك الايجابي كان البطل يتفطر شوقا الى ارضه السليبة ، ويتمزق حنينا لرؤية بيارته واطلال بيته ، واسترواح النسمات العليلة التي تهب من جانب السهوب الخضر تحمل عطر آثاره ، ومزج الدموع المدرارة بخضيب التراب الطاهر فيحس بدبيب عارم لا يقاوم يجذبه الى العودة ، ويشعر برغبة ملتاعة نحو الارض لا يجد لها دفعا ، فينطلق وأقصى امله ان يحفن حفنة من النجيع الذكي او يقطف عدة برتقالات من الاشجار المثقلة بالنجوم او يستلم برفق وخضوع اعمدة البيت الشاحبة . . وعندما يرجع كانت بضع رصاصات غادرة من العدو المترقب كافية لترديه على ارضه ، يسح بدمائه فيموت باسم الثغر ، لانه حقق رجاءه ، هذا الموت ــ فيما نظن ــ تعبير عن ايجابية البطل وليس تعبيرا عن سلبيته ، ان البطل يموت فوق تراب وطنه ــ في عودة مؤقتة ولكنه يؤكد تمسكه بالارض، ويرمز في نفس الوقت الى العودة المحتومة والابدية التي لا مناص منها ، وهو بذلك يختلف كلية عن البطل الذي ينتهي بالموت ايضا في المرحلة الاولى لان الموت هنا تفسير للتحول وللتغير نحو الافضل ، اما هناك فكان تفسيرا للحركة نحو الانهزام والشلل .

٥ ــ طغى العنصر الحماسي والعاطفي والدعاوي والقومي على العنصر الفني والانساني في كثير من قصص المأساة ، وكان من آثار العنصر الاول ارتفاع النبرة الى الدرجة الخطابية ومن آثار العنصر الثاني الزيف الواقعي وبالتالي الخلو من الصدق الفني ومن آثار العنصر الثالث الانسياق وراء الاحداث السياسية والانحراف في وهاد التقريرية والمباشرة . ومن آثار العنصر الرابع تضييق الخناق لمعنى المأساة ، والاقتصار فيها على دلالتها المحلية السطحية والساذجة . وفي مجال الشخصيات اعتمد الكتاب في رسم المشردة والبائسة منها خاصة على الملامح الفيزيكية فبدت في صور ثابتة ومفتعلة وقد تحولت بعض القصص نتيجة لذلك كله الى مقالات حماسية وتحول بعضها الآخر الى ريبورتاجات صحفية وتحول القسم الثالث الى اعمال ذات ابنية هزيلة مفككة وفاشلة .

* * *

بعد هذا الخط الافقي الذي رسمناه لتطور القصة القصيرة الفلسطينية قبل النكبة وبعدها نعود الى محمود سيف الدين الايراني فنجد انه اصدر في المدى الواسع الذي عاشه ثلاث مجموعات قصصية: الاولى «اول الشوط» صدرت في منتصف الثلاثينات تقريبا، وتضم سبع قصص وجملة مقالات، والثانية «مع الناس» صدرت عام ١٩٥٥ وتحوى اثنتي عشرة قصة، ومعظمها يرتد الى ما قبل النكبة، والثالثة «ما اقل الثمن» صدر عام ١٩٦٢ وتجمع بين دفتيها ست عشرة قصة. ولا تشكل هذه القصص في مجموعها «موقفا» اجتماعيا موحدا يعطينا في خاتمة المطاف (وجهة نظر) معينة يصدر عنها المؤلف كانسان او كفنان يكون شاهد عصره. ويحمل بين عطفيه - في ذات الوقت - رؤاه نحو المستقبل، وكأنه يقول «هذا انا وهذه هي الحياة»، ومع ذلك فانا نستطيع ان نستشف (دلالة) تكمن خلف معظم انتاجه، وتبدأ هذه الدلالة منذ مجموعته الاولى التي مثلت الى حد بعيد - كما يقول - تطوره الذهني، ثم بهتت الدلالة في المجموعتين الاخيرتين، لتقوم مقامها دلالات اخرى لا يجمعها موقف موحد.

وتشكل هذه الدلالة احساساً بأن المأساة الاجتماعية للانسان في فلسطين ممثلة في واقعه البائس المظلم تدق وجدان المؤلف بعنف، وتطحن وجدان شخصياته بضراوة، والكاتب يعبر عن ذلك بزوايا وجزئيات تتراوح بين التجريد والتعميم والمثالية الرومانسية، ولكن الزوايا كلهاوالجزئيات تدور بعد ذلك في نطاق قضايا فكرية محددة، يركز من خلالها على شقاء الانسان وتعاسته. وبكلمة اخرى يصور في قضاياه الفكرية او في قصصه قساوة الحياة ومرارتها او عدم توازنها.

ولقد قلنا ان هذا التصوير (الكائن) للشقاء ليس هو المقصود لذاته وانما هو معبر او رؤية (لما سيكون)، وهذا الذي سيكون هو جل قصد الكاتب وتدل رؤيته - على العموم - على انه ينقم على الحاضر ويأمل املا كبيرا بحياة افضل عن طريق تبديل الواقع - يوم تتساند كل الطبقات في مجتمع ان لم يطلب الاغنياء فيه الخير بما عندهم من مال فسيطلب الفقراء العمل بما عندهم من كرامة بل اكثر من ذلك يعتقد اعتقادا جازما بأن المستقبل هو لهؤلاء التاعسين، الفقراء الاشقياء ولاخلاقياتهم وقيمهم، فالجراثيم (العمال) يستغلبون في المستقبل ونداء (الروح) سينتصر على نداء (المادة)، والعدالة ستطغى على (الاجرام) لان الدنيا ما تزال بخير.

وعندما ننتقل الى مجموعتيه الاخيرتين فان التجريد والتعميم والمثالية والرومانسية تصبح ظواهر لا آثار لها ولا وجود، ولا تعود القصص تدور - غالبا - حول قضايا فكرية تبين (وجهة نظر) الكاتب او (موقفه). وانما تصبح (لقطات) تتخالف فيها الرؤية ولا يهم المؤلف منها سوى (نماذجها) او (شخصياتها) مفردة او نمطية.

يستغل ظواهرها للوصول الى اعماقها ومن هذه الجهة فان اعماله فيما عدا موضوع (الارض) - عبارة عن دفقات من الاحساس الطارىء يريد ان يرصده وينقله الى المتلقى. اما موضوع (الارض) السليبة فقد قدمه في عدد قليل من القصص يصور فيها مدى ارتباط الانسان بالمكان الذي ولد فيه ونشأ، وهو يقابل هذا (المكان او (الارض) تارة بالشرف واخرى بالروح وثالثة بالمال، ولا يعني في هذه المقابلة ارتباط شخصياته بمنبتها فحسب، وانما يعني ان الارض جزء لا يتجزأ من لحمهم ومن دمهم. انها شريحة او قطعة منهم. فمن الصعوبة بمكان ان يتخلوا عنها ويصبحوا منبتين لا صلة لهم بها، ولئن ارغموا على تركها الى حين فلا بد - مهما طال الزمن - من العودة اليها، الى الارض (الجنة)، الارض الطيبة المعطاء، ام الخير والبركات.

ولعل الظاهرة اللافتة في قصته ان شكلها - على امتداد الزمن الطويل كان يتطور نحو الاحسن، فهو يتراوح بين البناء المحكم، وبين السقوط المدمر ويتجلى مثل هذا السقوط حين تتحول القصة بين يديه الى (مقالة) اما لغلبة الفكرة على الاحساس، واما لطغيان الحماسةالعاطفية على التجربة الجمالية طغيانا يخرج بسببه العمل دون ان يختمر، او دون ان ينضج، ونمثل للنوع الاول بقصته المقالة «احتمال الحياة» في مجموعته الاولى، فهذه القصة ليست اكثر من (معالجة) منطقية، او (مقابلة) بين وجهتي نظر لقضية فكرية تنتهي بامكانية احتمال الحياة رغم قساوتها، وليس في القصة بعد ذلك شخصيات فنية ولا حدث متطور ولا أي مقوم هام من مقومات القصة او اي اصل من (اصولها) التي تتطلبها مستلزماتها التعبيرية او القصصية، ونمثل للنوع الثاني بقصته المقالة (قصة لم تتم) في مجموعته الثانية. فهذه القصة كسابقتها يسقط شكلها الفني لانها لا تستند الى اية (تقنية) فنية وهي - على احسن حال - كما قال البطل (اشجان روحي ابثها هذه الصفحات) اي انها ليست اكثر من مقالة حماسية ترتفع نبرتها وتعلو لهجتها، او كما قلنا انها قصة (مقالة) يتغلب فيها الطابع الانفعالي على التجربة الجمالية، غلبة لا تتيح للشكل الفني ان ينضج، ففي غمرة الانفعال المتضخم بالمأساة خرج العمل قبل ان يعيش في مرحلة اختمار لا تتعارض فيها الفكرة مع الاحساس او لا يطغى الشعور العارم على الشكل المحكم فيقضي عليه.

وفي نمط ثالث من القصص، تقوم اعماله على (احساس طارىء) او (شعور غامض) يجعله الكاتب محورا لقصته، وفي رأينا ان القصة تشترك مع (القصيدة) في ان موضوعهما واحد وهو (الانفعال التام الكلي والمركز)، وبعد ذلك يختلفان في صورة التعبير، وفي الحق ان مجرد هذا الانفعال وحده لا يكفي لخلق قصة جيدة البناء، فلا بد ان تنقل الاحساس الموحد (صورة) من التعبير او من (الشكل) متألقة تبنى بناء محكما، وهذا ما تفقده بعض

قصص الايراني التي تتحول الى لمسات خفيفة حانية من الشعور الرقيق ، ولكنها لا تحمل أية قيمة حرفية او شكلية .

وفيما وراء ذلك ينجح الايراني في بناء قصته ، ويبدو ذلك خاصة في مجموعته الثالثة التي تدل على انه فنان اصيل ، يدرك بوعي كيف يضرب بريشته ، ويعرف ايضا اين يضع الوانها وظلالها وخطوطها وانغامها ، حتى تخرج اعماله وكأنها حياة نابضة تنسال تلقائيا الى قلب القارىء.

وتقوم قصته على تحقيق صفتين : الاولى الوحدة العضوية والثانية الاثر الموحد ، وتعد الصفة الاولى مدخلا الى الثانية ، وفيها يسعى الكاتب الى اعطاء الاخبار الجزئية لتنسجم انسجاما متكاملا مع الحدث الرئيسي ، ويسعى الجميع ليتفاعل في ايجابية بالغة مع الشخصية في اطار حياتها ، ونكاد لا نعثر على تفصيل او وصف او خبر لا يؤدى دوره في خدمة الحدث الفني والشخصية . اما الصفة الثانية الاثر الموحد فلا تتجلى في مغزى القصة وانما في معناها ككل ، وفي ارتباط الداخل بالخارج وتكوين الانطباع الكلي النهائي للقصة ، ويشور هذا الاثر ويزيد في غناه لحظة التنوير التي يتكىء عليها الكاتب لتلقي بالضوء على جميع خيوط الحدث وعلى ابعاد الشخصية .

والقصة في تحقيقها لهاتين الصفتين لا تفرض على العمل شكلا آليا وانما تفرض عليه شكلا عضويا تنبع وحدته واثره من باطنه ، وهي لا تعتمد هنا وهناك على (العقدة) ولا على (الاستثارة) — وخصوصاً في قصة الانفعال الطارىء — وانما تعتمد على (الحركة) (ولا تتعارض عنده مع التحليل ومعادلة الاحساس) على تحقيق الرغبة لدى المتلقى تحقيقا يشده الى القصة ، ويغريه بالمتابعة .

ويأخذ شكل القصة عنده شكلا واحدا هو الشكل السردي وقد انهى بعض قصصه باليوميات، او بالمذكرات، وطريقته في معالجة الشكل ذات ابنية او انماط في الصياغة متعددة ففي بعضها يميل الى تناول القصة من لحظتها (الازمة) وفي بعضها يتتبعها تتبعا (حكائيا) ، ويعتمد في قسم ثالث على اسلوب الذكرى وفي نوع رابع من المعالجة يؤثر ان يجول دون ان يتقيد بالزمان او بالمكان ويربط داخل ذهن الشخصية بين الماضي والحاضر والمستقبل ، او يرتد غالبا الى اولها ، وهو لا يهمه من جميع هذه الانماط كما لا يهمه أن يعبر في القصة بشتى الضمائر او ان ينقل (حكايتها) على لسان بطلها او على لسان راو اول او راو ثان . . فالذي يهمه في النهاية ان يصل الى اعطاء الاحساس الموحد او الانفعال الطارىء الذي يهمه .

والقصة عنده هي قصة (الشخصية) فهي التي تعنيه وقد مرت على يديه في مرحلتين : في الاولى كانت تحمل الشخصية دلالتها الفكرية والاجتماعية ، وكانت كل الزوايا في خدمتها ، ولذلك كانت (نموذجية) وايضاً (مسطحة)، وفي المرحلة الثانية اقتربت الشخصية اكثر فاكثر من الفردية الرامزة ، ومن الفردية الانسانية المتميزة لانها بدت في ابعادها الثلاثة ولا سيما البعد الثالث ، ولم تعد تخدمها الرؤية ولا الحدث وانما اصبحت تتفاعل معهما .

وقد رافق هذا التطور في (نوعيتها) تطور آخر في (رسمها) فالملامح الفيزيكية التي كانت تهم الكاتب في قصصه الاولى لكي يؤكد تعاستها ، ويظهر شقاءها ، بهتت او زالت ، وقامت مقامها ملامح داخلية اتكأ عليها كثيرا لتحليل عواطفها واحساساتها الخفية الكامنة في العقل الباطن ، وكما كان الحال مع تشكيوف نجد ان ما يدور داخل الابطال وفي نفوسهم وما يشكل حياتهم الخفية هو ادعى الى اهتمامه من المظاهر التي يبدون عليها ، ومن اجل ذلك قدم بعضها وهي تعيش حياتها بنصف وعي ، وعرض اكثرها مبرزا معالمها الداخلية في وعيها الكامل .

وفي سبيل ابراز هذه (الدخائل) التي كانت تهمه كان يعتمد اما على اسلوب الذكرى ، او على تتبع الاحلام والاماني ، ومن هنا كان تحليله لا يتحول الى مونولوج شعوري لا منطقي من تيارات اللاوعي ، انه في اكثر الاحيان حديث مباشر او رؤية داخلية منطقية في صورة سردية من الشعور.

ولكي يعمق هذا المنهج لديه — فيما اعتقد لجأ الى معادلة احساس الشخصيات بمعادل موضوعي Objective Correlative يقابل به شعورها ، وكان هذا المعادل غالبا هو الطبيعة ، وقد جره ولعه بهذا المعادل الى ان يطيل فيه بشكل يطغى طغيانا واضحا على احساس الشخصية الاصيل ، وبتعبير آخر اضحى المعادل الموضوعي لديه ثوبا فضفاضا لا يتناسب مع شعور الشخصية ولا يقايسها او يتلاءم معها .

ويفضل الكاتب ان يضع شخصياته داخل (اطر) من ظروفها وحيواتها وبيئاتها ، ويخرج من الجميع بجو مصور كامل للشخصية يرعش بالحركة ، ويعج بالحياة ومع ذلك فان اعماله لا تفقد الحبكة ، لانها — غالبا — متماسكة ، ولا ينحرف فيها (صانعها) وراء مسارب لا تتصل بالحدث الرئيسي او لا تتقدم الاوصاف او الافعال التي يسوقها خطوة اثر خطوة بالشخصية وبالفعل الى الامام .

ومعظم شخصياته التي قدمها عادية او اقل ولكنها ليست تافهة ، انها محكومة بنظرته التي لا ترى في الحياة — ولا سيما في اعماله الاولى — سوى الفقراء والاشقياء والبائسين، والبسطاء ، والكادحين ، والمستضعفين ، والمطحونين ، وكان يعتقد ان جميع هذه الطوائف هي الطوائف المحرومة من النصير ومن امكانية الحياة السوية ، لذلك كان يأخذ بيدها ويعاملها في كثير من العطف والحنو والشفقة ، وقد ابرز جوانبها الطيبة والخيرة التي حالت الظروف القاسية دون الافصاح عنها ، ورأى انها الفصائل التي ستتبوأ مكانتها — كما يجب — تحت الشمس يوم تجد الانسانية مثاليتها المفقودة .

ويجعل الايراني اكثر شخصياته الشقية التي حرمت من العيش السعيد في الواقع — تعيش ما تتمناه او ما تأمل

به من نعيم عن طريق الاحلام او بواسطة رؤى اليقظة ومع ذلك فهو لا يدعها تستمرىء العيش في هذا (الزيف) فسرعان ما يردها الى الواقع المؤلم التعس ، هكذا يحلم (عطيوي) بائع الجرائد بحذاء جديد يضعه في قدميه ، وهو يرى مثل هذا الحذاء مرسوما في احدى المجلات التي يبيعها فيستغرق في تأملاته ويذهب بعيدا وراء احلامه التي بعثتها صورة الحذاء في مخيلته ومدتها ، ولكن لطمة قوية على صفحة وجهه كانت كافية لكي تجعله يفيق من ذهوله وقد اعقب اللطمة لكزة في كتفه زلزلته ، ثم انصبت في اذنيه لعنة لامه وابيه اللذين خلفاه ، ثم هذه العبارة من زبون كان يقلب في صحفه ومجلاته « ... لقد اتلفت حذائي ايها الحيوان » .

وفي « ما اقل الثمن » يشتري سعيد ورقة يانصيب في محاولة منه لتحسين وضعه وكان يعتقد انه في ذلك ينشد قليلا من السعادة المتيسرة التي يأمل فيها ولا يتطاول الى سعادة خارقة مستحيلة وفي اثناء الاسابيع الثلاثة التي مضت على شرائه الورقة لم يكن يحس بوجوده في الغرفتين البائستين فوق السطح والمطبخ الخشبي الحقير الذي تجاهد فيه زوجته ، وكان يتراءى له انه ما عاد يتناول طعامه فوق المائدة الصغيرة المتخلعة ، وانما هو يتناوله في حجرة الطعام المريحة ، في البيت الذي زينته له احلام الفوز ، وعندما جاء يوم السحب واعلن عنه في كل مكان ، استقبله سعيد هادئا ، ساكن الطائر ، وفي المساء هبط على مهل سلالم الادوار الثلاثة واشترى صحيفة وراح يقرأ الارقام على الضوء المنبعث من مقهى قريب ، ولم يكن رقم ورقته في قائمة الارقام الرابحة ، فلم يفعل شيئا ، ولم تند عن صدره آهة الم ، او خيبة امل ، وانما طوى صحيفته بعناية كبيرة ، واعاد ورقة اليانصيب الى محفظة نقوده حريصا عليها كأنها من التمائم او التعاويذ الثمينة ، وعاد صاعدا الى بيته الحقير ، وكان يحس براحة غريبة ، فلقد اشترى حلما رائعا جميلا بعشرين قرشا فقط ، وعاش في اكتافه ثلاثة اسابيع طوال كانت تملأه سعادة عابرة .

وفي « كانت حلم حياته » عاش (عادل افندي) لحظات مع فتاة احلامه الحسناء التي لمحها تخطر في الطريق ، فراح يلتهمها بعينيه التهاما ، ثم شق بمنكبيه طريقا وراءها في الزحام ، واقترب منها وحياها ومشى الى جانبها ودعاها الى الركوب في سيارة (اجرة) فقبلت شاكرة . وانطلقا الى احدى الحدائق الزاهرة في ضواحي المدينة ، والسعادة تقطر من بين اصابعه وحين غابت الشمس واقبل المساء كان موعد الحفلة الساهرة التي اعلن عنها نادي عمان قد ازف ، فذهبا اليها ، وتبادلا ثمة احاديث المرح والابتهاج والسرور ، ثم تناول يدها فقبلها وراح يبتسم ، وما لبثت الموسيقى ان صدحت بانغام عالية رنانة ، فاستفاق (عادل افندي) من ذهوله ، واذا به لا يزال على الرصيف لم يبارحه ابدا ، وما حسبه انغاما عالية ليس سوى زعيق بوق سيارة كبيرة كان يعوي في ارجاء الشارع الكبير .

وعندما عاد (عادل افندي) الى بيته ازداد يقينا بأن الاختلال لا ينفك ابدا ملازما هذا العالم العجيب ... وآلمه ان يتبين في النهاية ... ان عالمه الخاص ... السعيد ... عالم احلامه ورؤاه ... الذي سواه لنفسه وزينه بالصور والالوان المعجبة ، هو الآخر ليس مبرأ من الاختلال الكريه .

وتبدو شخصياته النسائية شخصيات شريرة ، غادرة ، لا تلعب دورها الانساني كما يجب ، لانها لا تمثل في ادبه الا دور (المتعة) جنبا الى جنب مع دور (الخمرة) وكلا الدورين او المتعتين (الجسد) و (الكأس) متلازمان ، اما ليفرغ فيهما الرجل الشقي تعاسته ، او لكي يقتل فيهما الرجل الثري فراغه ، وموقف الكاتب من جميع شخصياته النسائية يكاد يتبلور في هذه الكلمات التي ساقها على لسان راو من رواة قصصه « ... المرأة مخلوق مراوغ ، خداع ، يستمد قوته من ضعفه ، ومن تخاذل الرجل وضياعه امام سطوة الجمال .. » ويستغرق هذا الموقف وجهة نظره في كل اعماله التي عرض فيها للمرأة سواء اكانت هذه المرأة شخصية رئيسية ، او شخصية ثانوية ، وهي هنا وهناك لا عهد لها ولا ذمة ، ولا ضمير ولا خلق ، تبيع جسدها لمن يدفع الثمن اكثر ، او ان ترغب في ان يصبح سيد جسدها وعبده معا ، وقد صور معظم الرجال وكأنهم يشدون اليها بدافع شهواتهم الجامحة شدا يقيدون فيه بقيد متين ، ولا يستطيعون فكاكا منه ولا مهربا .

وقدم الكاتب في بعض قصصه (قصص المأساة) عددا من الشخصيات الفلسطينية اللاجئة المنكوبة في وطنها وارضها السليبة ويمكن ان نلاحظ في تطورها نفس التطور الذي وجدناه من قبل في قصص بعد النكبة ويبدأ هنا في قصته « الخروج من الجنة » حيث يقف بنا عند مأساة البطل المشرد (ابو خميس) في حدود خروجه من الجنة (فلسطين) ، وفي قصته « قصة لم تتم » يخضع البطل اللاجىء لصراع مرير قانط يشل حركته حين يقابل بين ماضيه وبين واقعه المؤلم الاسود مقابلة ينتهي فيها الى التشاؤم والاشمئزاز فيلعن الدنيا ، ويبصق في وجه الحياة ، وفي قصته « الارض الطيبة » يهدأ الانفعال الحماسي ، ويجتر البطل (ابو محمود) ذكرياته وبطولاته القديمة ولكنه يحلم بالعودة الى الارض الطيبة ، وفي قصته الرابعة (أقوى من الموت) في المجموعة الاخيرة نصل الى التطور الايجابي الاخير في حياة هذا البطل التائه المشرد الذي يحاول ان ينهض هو واخوانه من بين الانقاض ، وقد صمم الجميع ان يعملوا ليضعوا حدا لهذا الليل ... الطويل .

والشخصيات اخيرا تقوم على ازمات (الصراع) التي تضج في دخائلها ، وهو صراع - غالبا - يكون بين الواقع والمثال تنتهي منه الشخصيات بالتمسك باحبال الاخير ورغم ان الكاتب لا يرى في الحياة الا الشقاء وكانت اكثر شخصياته تعيشه الا انها لا تتمرد او بكلمة ادق لا تثور ، ولذلك فانا نستطيع ان نقول انه منذ مطلع الطريق كان فنانا غير ثائر ، وان دعا الى موقف (ثوري) او (متمرد) ، بل اكثر من ذلك كان يجهض ثورة ابطاله اما بكأس خمر واما لدى اقرب مومس ، لقد كان في قصصه يحكي احتمال الحياة رغم قساوتها وظلامتها وكابوسها الثقيل ولكنه كان يعد بحياة افضل في المستقبل .

واذا ما تحولنا الى دراسة نسيج قصته فانا نلاحظ انه تطور فيه شأن اغلب كتاب الفترة من التقرير والتدخل الى التصوير والايحاء واعتمد هنا وهناك على جملة من الاوصاف (الوظيفية) اتت عن وضعه الشخصية داخل (اطارها) الحياتي او البيئي . واسلوبه اللغوي يسوقه في جمل متماسكة صغيرة ، ويستعمل في حوار شخصياته (العامية) الصرف احيانا ولا سيما في مجموعته الاولى ، ويمزج احيانا اخرى بين التعبيرين الفصيح والعامي مزجا يفشل فيه ، وفي مجموعته الثالثة خاصة انتهى الى ادارة الحوار بالفصحى .

ونتخير للتمثيل على فنه قصته « حذاؤه الجديد » وفيها يقدم لنا شخصية (عطيوي) بائع الجرائد ، في (اطار) من حياته التي يحياها كل يوم ، ونحن لا نعرف من ملامح البطل الفيزيكية شيئا . . تقاطيع وجهه . . اوصافه الجسيمة ، . . . هذه كلها ظواهر خارجية لا تهم الكاتب ولا تعنيه من قريب او من بعيد ، فالذي يعنيه هو الداخل ، داخل (عطيوي) حياته الباطنية التي توجه سلوكه الظاهر ، والتي يعيشها في بعضها (حقائق ووقائع) وفي اكثرها امنيات واحلاما وخواطر ، وترتبط هذه الحياة (داخل اطارها) باربع جوانب : الجانب الاول علاقة (عطيوي) بالخواجه (نصار) فهو سيده المباشر الذي يسلمه الجرائد لبيعها ، الجانب الثاني علاقته (بالزبائن) فهم يمثلون لديه توتر ميزانه (التجاري) بما يشترون والجانب الثالث هو علاقته (ببضاعته) بهذه الصحف التي يبيعها وترتكز عليها حياته ، والجانب الرابع هو علاقته بذاته اي (بوضعه) .

والذي يريده الكاتب من وراء هذه الجوانب او العلاقات هو بيان النتيجة النهائية لحالة عطيوي (الحياتية) ، التي لا يرى فيها سوى البؤس والشقاء والتعاسة ولذلك فهو ينهي معظم علاقته السابقة بالفشل او بالكفران ، فعلاقة عطيوي بالخواجه نصار تقوم على امتصاص (المال) الذي يلقيه الاول بين يدي الثاني كل مساء ولا ينال منه ما يسد الرمق ، وعلاقته (بالزبائن) كانت تقوم من جهته على الحب لانهم يؤلفون جزءا من حياته اليومية او الجزء الايجابي منها وكانت تقوم من جهة اكثرهم على الشره والجشع لانهم يقرؤون ولا يدفعون ، وعلاقته بعمله (ببضاعته) تنتهي بالحسرة والالم فهو كثيرا ما كان يقارن بين حالته وبين ما تنشر الصحف من صور مغرية للفتيات الجميلات او للملابس الفاخرة ، ولكل (الضروريات) التي لا يستطيع ان ينال احداها ، وتأتي علاقته الاخيرة (بوضعه) الذي يحاول ان يغيره حتى عن طريق الحلم او رؤى اليقظة - كما اسلفنا - ولكن سرعان ما ترده الصفعة الى واقعه المرير المتلىء بالذل والهوان . . . وبالدموع .

وقد عرض الكاتب هذه الجوانب او العلاقات بواسطة حلقتين ترتبطان ببعضهما البعض وتؤلفان معاً وحدة الحدث الفني الذي يمر في مراحله الثلاث البداية والوسط والنهاية ، الحلقة الاولى قدم فيها الشخصية في اطار علاقاتها الثلاث فعرفنا بائع الجرائد في علاقته برئيسه ثم بصحفه ثم بزبائنه ، وفي الحلقة الثانية قدم العلاقة الاخيرة في لحظة نفسية وزمنية قصيرة استغرقت حلم عطيوي الذي سببته له صورة الحذاء ، ولكنها عادلت في حجمها الحلقات الثلاث ، وهذا امر طبيعي لانها هي المقصودة ، وما الحلقات الثلاث الا مدخل لها .

ويمكننا ان نرجع الاثر الاجنبي الاكبر في اعماله للقصة الروسية ، ولقصة تشيكوف بالذات ، ويبدو ذلك في طرق تصويره للشخصية وفي التركيز على دقائقها ، وفي كثير من اللقطات الجزئية التي يمتاز بها ، ولا نعدم اثارا اخرى اجنبية على اعماله كالقصص الانجليزي ، ويتضح ذلك جليا في قصته « شعرة بيضاء » التي نظن انه كتبها تحت تأثره المباشر بقصص الكاتبة « كاترين مانسفيلد » وبقصتها « سعادة » على وجه الخصوص ، واذا رحنا نقارن بين هاتين القصتين فانا نستطيع ان نقول ان موضوعهما واحد وهو شعور الزوجة الغامض بالسعادة اولا ثم انتعاشها فجأة واحساسها بالنعيم ممثلا في زوجها وفي دفء حبه ثانيا ، والمعادل الموضوعي لكل من احساس الزوجين (برتا) و (جميلة) هو تقريبا معادل واحد ، ففي الاول تكون (شجرة الكمثرى) هي هذا المعادل ، وفي الثانية تكون (الوردة الارجوانية) ، ودور (بيرل فولتن) يكاد يشبه دور (ليلى) وان اختلفنا في بعض التفصيلات وقد نتعدى في وجوه المقارنة (العامة) هذه الى الجزئيات الخبرية ايضا فالطبيعة التي تحتل مكانها في القصتين (كشخصية) قائمة بذاتها لها خطرها واهميتها هي واحدة ومائدة الطعام بما يعلوها من اطايب الاكل واصناف الفاكهة بالذات هي واحدة وهكذا . . .

بين مجموعة الايراني الاولى ومجموعتيه الاخيرتين عشرون سنة او اكثر فماذا نستطيع ان نرى في هذا المدى المتسع من الفروق بين اعماله المبكرة واعماله المتأخرة ؟

ان نظرة جادة الى اعماله الاولى قد تدلنا على انها لم تبشر بمولد فنان أصيل فقد كان نتاجه (عاديا) ، ليست فيه شرارة الفن الخالدة ولا الاصالة العميقة ، ولا التجربة

قصة الحب الخجول

لي حبيب ارتجيه بالتمني ..
كم تلاقينا وفي أعيننا ...
وافترقنا وبقلبينا ضرام

وهو يرجوني ويبدي لي صدا
نظرات حائرات تتحدى ...
لا يني يسفعها لذعا ووقدا

في التنائي نرتجي ان نتلاقى
وكلانا حائر في « كلمة »
فاذا أوشكت نطقا خلتها
لا انا افصح عن حبي له ..
وهو لا يفصح عما يشتكي
فكلانا يرتجي أن يتبدى

ثم يلقاني فاخشاه ، ويخشى
هي تغشاني ، كما اياه تغشى
رعدة بين عظامي تتمشى
وهو في قلبي هيام ، بل تعدى
وبعينيه تجلى وتبدى ...
من حبيب هو عي ليس يبدا

الاماني هينات دانيات ...
عجبا من هذه الحال ومن ...
فاذا جاءت كففنا واذاها

بين ايدينا ، ولا نمددها !..
امنيات لا نني ننشدها
قد تلاشت ونأى موردها

يا حبيبي : اسنبقى هكذا
نتمنى والاماني حلوة
ام لنا ساعة صفو ، ورضى ،

بين احلام ، ويأس ، وعذاب
وهي تغرينا كما يغري السراب
ومناجاة ، وبوح ، وعتاب ؟..

مصر الجديدة — محمود الشرقاوي

الجمالية الناضجة وربما كان هذا طبيعيا من كاتب شاب نشر قصصه في بدء حياته الادبية ، ومهما يكن من امر هذه المسألة فانه قد فشل فشلا ذريعا في بناء قصصه الاولى كلها على الاطلاق ، فقد تحولت بين يديه الى مجرد (قضايا) فكرية محددة يعالجها بصوت مباشر يأتي من خارج العمل وما وراء ذلك فانها لا تملك اية قيمة شكلية لانها أما مقالة قصصية او قصة بيوجرافية أو ملخص رواية وهي في كل هذه الاشكال تسقط لان المواقف والانفعالات تتعدد في جو منطقي ثابت وممل يخلو من الحركة الصاعدة المستمرة، وقد تناول الكاتب بعضها تناولا رومانسيا مفتعلا ركز فيه على صور البؤس والالم والشقاء ، ليزيد من تعاسة الشخصية ممهدا للعطف والشفقة عليها .

اما في المجموعتين الاخيرتين فان بعض قصصه — كما قلنا — يسقط او يتراوح بين الجودة والرداءة ولكنها — الى جانب القصص الكثيرة الناضجة — تنبىء عن براعة فنان يعرف كيف يمزج بين الشخصية والحدث الفني وزاوية الرؤية مزجا موفقا يخرج لنا فيه فنا يمتلىء حركة وحياة ، ويعطي احساسا وشعورا مرهفا رقيقا هو « موضوعه » ومحوره الذي يدور حوله ، ولعل هذا التطور نحو الافضل هو من عمل العشرين عاما التي قضاها الايراني في محرابه عاكفا على انتاجه يهذبه ويصقله ويداب في صياغته وبنائه حتى استقام له الخلق او كاد .

ولئن خرجنا من خلال هذه الاعوام العشرين التي بدا فيها الايراني عمله وما يزال الى اليوم يقدم نتاجا تفرغ ويتفرغ له — بثلاث مجموعات تضم خمسا وثلاثين قصة فقد يكفينا منه انه — تقريبا — الفنان الوحيد بين كتاب بلاد الشام الرواد والمكونين للقصة القصيرة الذين اخلصوا لها ولنوع خاص منها هو قصة « الشخصية » .

ولقد استطاع الايراني — حقا — ان يخلق الكثير من الشخصيات الانسانية الحية التي نشعر ان بيئتنا تمتلىء بامثالها او بمعظمها ، تمشي على الارض بين ظهرانينا ، نعرفها ونحس بوجودها ، اعطانا عالمها الذي نعرفه ، وعالمها الرحب الفسيح الذي نتلمسه في تصرفاتها ولا نعرفه ، ولو لم يكن — كما قال — كاتبا ، لكان على احسن الفروض صانع هذه التماثيل النابضة التي تكاد تفصح وتبين ، وهذا حسبه .

القاهرة — نعيم حسن اليافي

قصة

تذاكر يانصيب الحاج زكريا

للقاص الاندونيسي موكتار لوبس

ترجمة الدكتور محمود محمد الحبيب

بدأ تفكيري بالحاج زكريا حينما كنت في الباص الذاهب الى مدينة كيرنجي اذ لم اره منذ ١٤ سنة ماضية . لقد توفي ابي حديثا في قريتنا الصغيرة في سومطرة وكان علي ان اعود الى بيتنا لاعزي امي وانهي تسوية بعض الامور التي تنجم عادة بعد وفاة اب لشخص ما . واحداها هي هذه الرحلة الى كيرنجي حيث يملك ابي مزرعة مطاط . وهناك يجب ان انزل ضيفا على الحاج زكريا .

في أول وهلة لم يكن هناك مجال للتفكير بأي شخص أو اي شيء عدا هذا الباص . لم أكن مرحبا بالرحلة لعلمي ان الطريق من بادانج الى سنجائيبينه ثم نهاية الطريق في كيرنجي هي في اسوأ حالة . يجب عبور كثير من الانهار بالعوامات ، كما ان الطريق تخترق غابات كثيفة وتتسلق سفوح جبال عدة ، ولكني لم استطع رفض طلب امي بالحضور . وقد برهنت الرحلة منذ بدايتها انها كما توقعت .

لم يكن ذلك لمجرد خلل في الباص، ولو ان محور العجلة قد انكسر مرتين مما ادى الى تزحلق الباص على احدى جوانبه ثم توقفه على بعد عدة اقدام من افواه المنحدرات الفاغرة . ولكن سائق الباص ، كما يظهر ، قد تعود على اعراض كهذه وعليه فقد تهيأ بعدة احتياطية وضعها في خلف الباص . ومع هذا فان خللا كهذا قد اشاع فينا توترا لم نستطع منعه .

ولكن جريمة القتل التي كادت ان تحدث كانت اكثر تشتيتا للذهن . فمنذ اول الرحلة كان بين الركاب شاب عائد من مدرسة دينية في مدينة باريمان وقد راح يرتل آيات القرآن بصوت مرتفع وكأنه في مسجد . اما الراكب المريض الذي جلس بجانبه والذي ضايقه الجو الحار في الباص ثم سرعة استدارة الباص على المنحيات الجبلية التي هي كالشعرة فقد ازعجه هذا الترتيل وطلب من الشاب المتحمس ان يكف ، ولكن الشاب بدأ يرتل هذه المرة بصوت أعلى مما دعا الراكب المريض ان يفقد اعصابه ويصرخ به بصوت ناقم ان يصمت ويطبق ذلك الفم . فتصاعد صوت الشاب الديني قائلا بغضب « اللعنة على الكافر .. كيف تجرأ ان تأمرني بالتوقف عن ترتيل آيات القرآن المقدسة ؟ » قالها وقد امتدت يده الى سكين طويلة في قرابة حزامه ... وبعدها ترك سيلا من الكلمات العربية تنصب من فيه اعقبها العودة الى لهجته الاندونيسية المحلية لاعنا الراكب المريض ومتوعدا بنار جهنم وغضب الله والموت الاسود له ولاحفاد سبعة سيتاوه .. ورمقنا نحن الآخرين ولما لاحظ ان لا احد منا سيتحداه او يتصدى له فانه بدأ يهدأ ويتناسى قصده بقتل الراكب ، ثم عاد الى ترتيل القرآن مرة اخرى ، وللنكاية ، بصوت مرتفع جدا .

ومع هذا فالمسافر سيعتاد على محور العجلات المنكسر ومهاوي الوهاد الخطرة وترتيل المتطرفين الدينيين . اما ذهني فقد سرح مرة اخرى الى الحاج زكريا، والى الماضي عندما كان ابي يشغل وظيفة مفتش المحافظة في كيرنجي منذ زمن طويل . كنت آنذاك طفلا صغيرا ولكنني اتذكر ان الحاج زكريا كان أحن الرجال الذين عرفتهم .

لم ينس الحاج زكريا في موسم الحصاد ان يرسل لامي الرز الذي لا يزال طريا واخضر لكي تصنع لنا البسكويت الحلو . وكلما عاد من رحلة الصيد فانه يهدينا شرائح لحم الغزال المقددة دائما . وفي صباح عيد الفطر المبارك الذي يعقب شهر رمضان فاننا نحن الاطفال نرحب بهداياه السخية ، واجملها هو الالعاب النارية . فمثلا حين فتح ابي رزمة منها في أحدى المرات اصابته الدهشة حين رأى ان كل اصبع من الالعاب النارية كان كبيرا كاصبع الديناميت .. وهذا مما دعانا الى أعتبار الحاج زكريا كواحد من افراد العائلة وكأحن واسخى من اي عم لنا .

كان الحاج رجلا موسرا جدا يملك عدة حقول للرز . وفي تلك الاعوام التي ارتفعت فيها اسعار القهوة فقد كانت لديه مزارع كبيرة من اشجار القهوة من النوع الروبستي والعربي ... اما أبي فكان يملك مزرعة قهوة ولكنها صغيرة . وحين تصاعدت اسعار المطاط في الاسواق العالمية فقد قرر ابي ان يقص اشجار القهوة ويزرع بدلها اشجار المطاط .. لقد نصحه الحاج زكريا بالعكس ولكن ابي كان متخوفا من ان سوق القهوة ستتدهور ، وعليه فزراعة المطاط هي الحل الاسلم . وضحك الحاج كثيرا على تفكير ابي وعده هوسا وقال بتهكم « ان الناس يشربون القهوة دائما ولكن هل سمعت بمن يأكل المطاط ؟ »

وفي مطلع كل عام بعد ابي وامي والحاج زكريا بالذهاب معا لاداء فريضة الحج في مكة ، ولكن الحاج كان هو الذاهب لوحده دائما لعدم تمكن ابي وامي من السفر لمكة . وقد فهمت مؤخرا بأن السبب هو عدم وجود المال لدينا .. وقد حاول الحاج زكريا في كل عام اقناعهما بقبول المال منه قائلا :

« يا صديقي مفتش المحافظة ، لماذا انت تقسو علي ؟ اليس مالي مالك ، وبيتي بيتك ؟ ان لم تقبل مالي كهدية فاعتبره قرضا تسدده لي متى ما شئت» . ولكن ابي يتضاحك ويرفض العرض مما يدعو الحاج الى مغادرة دارنا غاضبا .. وحين يحل موسم الحج ويؤوب الحاج زكريا من ارض مكة المقدسة فانه لن ينسى ان يجلب لامي المرجان الاحمر من البحر الاحمر وفروعا صغيرة من اغصان الاشجار المقدسة في مكة والتي تستعمل كفرشاة لتنظيف الاسنان وكذلك قنان من ماء زمزم من الينابيع المقدسة .

وتذكرت ايضا كيف كان الحاج زكريا مولعا بشراء تذاكر اليانصيب اذ كان يصرف مبالغ شهرية ضخمة على ابتياع التذاكر من مدينة بادانج اذ تبلغ احيانا من اربعمئة الى خمسمئة روبية شهريا والتي ، آنذاك ، تعادل ثلاثمئة دولارا تقريبا . وبقدر ما استطيع ان اتذكر فانه لم يربح شيئا . ورغم ذلك فانه لم يرم البطاقات القديمة المسحوبة بل احتفظ بهما كمجموعة للذكرى .

اتذكر مرة ان ابي وامي والاطفال ذهبنا لزيارته في احدى ليالي عيد الفطر فبدأ يحدثنا عن تذاكر اليانصيب ، حديثه المفضل . « يا اصدقائي » قال الحاج « لقد كدت اربح الجائزة الكبرى في الشهر الماضي فالرقم الرابح كان ٥٦٧٨٨٩ ورقم تذكرتي كان ٥٦٧٨٨٨ . والآن فانني اصبحت قريبا جدا من الربح . وفي الشهر القادم سأشتري تذاكر اكثر» . اما ابي الذي يؤمن بان اليانصيب هو شر عظيم كالمقامرة فقد اختلف مع الحاج زكريا ، وفي كثير من الاحايين فانهما تشاجران حول الموضوع . اما هذه المرة فان نظرة قاسية اطلت من عيني ابي وقال : « يا حاج زكريا كم من المال قد اضعت على هذا اليانصيب بدون ان تربح قرشا واحدا ؟ » . وهنا غادر الحاج الغرفة ثم عاد يحمل علبة صفيح (تنكة) تراكم داخلها اطباق من التذاكر المخزونة فوق بعضها البعض .

« في هذه العلبة يوجد ما قيمته عشرة آلاف روبية من التذاكر » قالها الحاج زكريا وهو يربت على العلبة براحة يده . ثم استمر « انها لعبة الحظ فاذا ربحت فستربح ربحا عظيما ، اما اذا خسرت فما هي جدوى خمسمئة او ثمانمئة روبية يا اصدقائي ؟ »

هز ابي راسه بتحسر وقال « وما فائدة هذه الاوراق لك ؟ اني انصحك بشدة ان تتخلص منها فهي شر وستجلب الندم في المستقبل الى قلبك » . فضحك الحاج بصوت عال وقال مؤكدا ما سبق «لا .. ان الغبطة من لعب اليانصيب هي الشعور كم كنت قريبا بعض الاحيان من ربح الجائزة الكبرى ... ان رقما او رقمين هما الفرق الكبير » .

في هذه المرحلة من صور الذكريات توقفت اذ وقف الباص امام دار الحاج زكريا فقفزت الى الخارج ، وشاهدت الحاج ينتظر على قارعة الطريق وهرع يحتضنني وكأني لم ازل الولد الصغير الذي يألف .. وفي داخل الدار رحبت بي زوجته واولاده وبناته ، وكان الطعام جاهزا ايضا ... ولم ابدأ الاحظ التغيير الكبير الذي اصاب الدار الا بعد ان انهينا تناول العشاء ... ان الدار تبدو شبه خالية اذ لم اشاهد السجاد السميك يغطي ارضية الغرفة ، ولم اسمع الضجيج الذي كان يعلو من الاطفال .. انه الزمن اذ قد كبروا ايضا . لقد كان لديه ستة اطفال . اما الآن فهناك بنت واحدة هي مريم التي بقيت في البيت اذ لم تزل عانسا .. لا ازال اتذكر كيف كانت تلعب معنا حين كنا اطفالا ، اما الآن فقد نمت الى بنت جميلة ... لقد ظللت ارمقها معظم الوقت .

وتحدث الحاج زكريا طويلا متذكرا الايام المنصرمة ومعيدا كم من المبهج ان يراني مرة اخرى وكيف ان ابي قد مات حزين القلب ... وبعد ان غادر ابناء وبنات الحاج المتزوجون الدار ، وحين انسحبت زوجته ومريم الى المطبخ لغسل الصحون انقلب الحاج الى جد مفاجىء وقال لي « يا ولدي ... نحن الآن .. نحن .. فقراء الآن » وللتوضيح قال « حين تدهورت سوق القهوه قبل سنين فاني سلكت طريقة ابيك وقصصت اشجار القهوة وزرعت اشجار المطاط ولكن بعد ان نمت فان سوق المطاط تدهورت ايضا . واني ، بغباوة ، قصصت اشجار المطاط وزرعت بدلها اشجار القهوة ولكن اسعار القهوة ظلت واطئة كما كانت ... اما ابوك فكان احسن حظا لانه لازم زراعة المطاط خلال تدهور سوقها . وحين صاحب الحرب الكورية تصاعد كبير في اسعار المطاط فانه جنى ربحا عظيما . ولسوء وضعي المالي فقد طلب ابوك مني الاشراف على مزرعته مما ساعد موقفي كثيرا .. اما الآن وقد هبطت اسعار المطاط مرة اخرى فلست ادري ماذا سيحدث لنا » .

وهنا اعلمته بمهمتي من هذه الزيارة . ان امي قد سألته ان يستمر بالعمل كمشرف على المزرعة ، ولكن وقد توفي ابي فانها تريده ان يعتبر المزرعة ملكه الخاص .

وبعدها غادر الحاج زكريا الى الجامع ، وجاءت مريم للحديث معي وفهمت منها انه لما هبطت اسعار القهوة فان اباها لم يأخذ الموقف بصورة جدية اذ استمر على نفس المنوال اذ ذهب الى الحج الى مكة كل عام ، وابتاع تذاكر اليانصيب كالمعتاد مما اضطره الى بيع حقول الرز كل عام ليدفع مصروفات حجه ... ولكن الضربة القاصمة جاءت بعد الاحتلال العسكري الياباني للبلاد فالحاج كان وطنيا واولاده كانوا جنودا في جيش الثورة الوطني ، وابتدا ببيع مزارعه الواحدة بعد الاخرى لشراء سندات القرض الوطني الجمهوري . وابتياعه للسندات لم يكن بدافع الوطنية فقط ولكن لان

عاطفة

ليست الغيرة
ولكنها رعشة الامس .

عمري القيثارة
التي اغنياتها جروح وربيع
ألم تحس بنسماتها
وانت تمر ببابي
بعينيك اللتين تلمعان بالطل ؟
مسكينة روحي
ترنو .. ولا تعب
غير السراب !

لا ... لا ... ليست الغيرة
انها عذابي
ولكن من اين تهب
رياحه اللاهبة ؟

أعلم انك لست لي
وجمالك وفتنة الامسيات لغيري ...

رباه ... احس بغيرة !
لم ؟
دعني ابدع لحني من آهاتي .

حلب هناء طيبي

الحكومة الجمهورية قد تعهدت ايضا بدفع فائدة سنوية على هذه السندات ثم القيمة الكاملة للسعر الاصلي بعد ثلاث او اربع سنوات . ولكن اندونيسيا لما حصلت على حريتها فان الحكومة اخفقت في اطفاء قرضها . ثم جاءت الحرب الكورية وطلب ابوك من الحاج ان يشرف على مزرعة مطاطه لقاء نصف الارباح .

استطعت ان استشف من حديث مريم بان الحاج زكريا لم يزل في وضع مالي لا بأس به فان ابناءه يشتغلون ويقدمون له المساعدة، كما انه لا يزال يملك بعض حقول الرز ولذا تنتفي الحاجة لشراء الرز. ماذا ينقصه اذا؟ قالت مريم « ولكنه لا يستطيع شراء تذاكر اليانصيب او الذهاب لاداء فريضة الحج في مكة ، وهذا ما يحزنه جدا » .

وحين عاد الحاج زكريا من المسجد وجدت نفسي مدفوعا بدافع شيطاني للتساؤل عن اليانصيب فعلا وجهه الفرح وجلب لي من غرفة نومه علبة الصفيح الكبيرة التي فتحها وهو يقول « هل تتذكر كيف كنت ابتاع تذاكر اليانصيب شهريا ، وكم كنت قريبا من الربح في معظم الاحايين ؟ حاول الآن ان تقدر كم هو ثمن هذه التذاكر التي في العلبة » فقلت « ربما تساوي آلاف الروبيات » فأجاب « ليس مجرد آلاف يا ولدي . اني اعرف كم دفعت لشرائها بالضبط .. انه ٥٦ الف روبية لا اقل ولا اكثر ، وكانت روبيات ذات قيمة اصلية وليست كروبيات الوقت الحاضر » .

« ومع هذا فلم تربح شيئا ؟ »

« لم اربح » ترنح جوابه وهو يضحك ويغلق اعلى العلبة ويستعد للذهاب الى غرفة نومه . ثم قال « عم مساءا يا ولدي » .

فقلت متعجبا « ٥٦ الف روبية !! الروبيات القديمة العظيمة !! الا تدرك أن هذا يعني اكثر من مليون ونصف في هذه الايام ؟ ما الذي لا تستطيع شراءه بمثل هذا المال الكثير حتى بقيمة الروبية الحالية ؟ يا حاج زكريا ستكون غنيا جدا حاليا » .

انتفض الحاج قليلا ثم ضحك ، ولكنه توقف عن الضحك فجأة وعلت وجهه سحابة غامضة ثم رمقني بغرابة وتمتم « انت تهذر يا ولدي .. يظهر لي انك متعب من الرحلة .. عم مساءا » .

كانت غرفة النوم المعدة لي تقع بين غرفة مريم وغرفة الزوجين . واحسست أن مريم اصابها الارق فتمنيت من كل قلبي انه كان بسببي.

لم يمض على وصولي الى جاكارتا شهر واحد حتى وصلتني رسالة من مريم اعربت فيها انها منذ زيارتي لهم فقد اصبحت قلقة حول وضع ابيها فكثيرا ما سجن نفسه في داخل غرفته .. لقد لاحظوه مرة بعد تذاكر اليانصيب .. لقد اصبح صامتا وقد تمضي ساعات بل أيام وهو لا يكلم احدا ... وفي احدى الايام حين اخذ بندقيته للصيد فانه عاد فارغ اليد ورفض القول اين كان وماذا حدث رغم ان البحيرات آنذاك كانت تغص بالبط ومن المستحيل انه لم يصد احداها .. فكتبت مجاوبا مريم بعدم القلق ، وكأي شاب في مطلع الشباب قلت لها بأن الرجال الكبار لهم مشاكلهم ولكنها ستتبخر .

ولكن ... بعد اسبوع ... وصلتني برقية من مريم تعلمني فيها بأن اباها قد مات ... وفي رسالة لاحقة بالبرقية اوضحت الابنة لي بأن الحاج زكريا قد انتحر في غرفة نومه وذلك باطلاق الرصاص على راسه ، وحين كسروا باب الغرفة شاهدوه مرتميا على وسطها وقد تناثر دمه على اوراق اليانصيب المبعثرة . اما سندات حكومة الجمهورية فقد تناثرت حوله على ارض الغرفة . واعقبت مريم « اما امي فقد اصابها المرض ولست ادري ماذا سأعمل » .

وهكذا على حين غرة اصبحت القضية مشكلتي .. ماذا سأصنع الآن ؟ لقد مرت علي ليال عدة وانا لا استطيع النوم لاني أشعر باني مذنب .. لقد قتلت الحاج زكريا بتذكيره بتذاكر اليانصيب ... انه بسبب أساه وألمه قد قتل نفسه لاني ذكرته بحماقة عمله القديم .

اني احب مريم ... ولكن ... هل يستطيع قاتل اب الزواج من ابنته ؟ اي سعادة سأجني من الزواج بمريم اللهم الا اذا احسست بصورة مؤكدة من ان الحاج زكريا لم ينتحر بسبب اليانصيب ، والا اذا اعتقد بأن ما دعاه الى الانتحار قد كان تألمه لان الحكومة الجمهورية قد اخفقت بعدم دفع قيمة سنداتها حين أستحق الدفع .

كاليفورنيا محمود محمد الحبيب



يوسف عبد المسيح ثروة

شيطان كافكا اللعين

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

***

الآداب الغربية مشحونة بالشياطين والابالسة والمردة ومن الامثلة الرمزية على ذلك مفستوفيليس شيطان فاوست الذي ابدع غوته في تبيان دوره وما قام به من اعمال وبخاصة في الجزء الاول من « فاوست » الذائع الصيت هذا الجزء الذي قضى غوته معظم حياته في كتابته . اما شيطان كافكا ، الذي نحن بصدده فمختلف كل الاختلاف عن زميله مفستوفيليس لانه هوائي متقلب داكن اغبر تشده باللانهاية الف وشيجة ووشيجة ، وهو بدلا من ان يكون ماهية منعزلة منفصلة عن ماهية كافكا كما كانت الحال بالقياس الى « فاوست » نراه متقمصا في شخصية كافكا تقمصا حياتيا من يوم شعوره بوجوده الذاتي الى ان استله السل من هذه الحياة الكابوس الذي عاشه بمرارة ونكد وشقاء . وما هذا الشيطان الا الحظ الذي تلاعب بحياة كافكا كما لم يتلاعب بحياة انسان من قبل قط ؟ انه الضباب الاسود المدلهم الذي حط بادلهمامه على عاتق كافكا ، فظل يكايده مكايدة دنيئة خسيسة ، ويشاكسه مشاكسة عربيد مفلس قبيح لفتاة غاية في الجمال واللطف والرشاقة ، ولا سيما اذا عرفنا ان كافكا كان عصابيا سوداويا .

يقول فيليب زاف في « مقدمة الى كافكا » (١) : « لا مراء في ان كافكا واحد من اكثر الفنانين الادبيين عصابية ، وهذا ما يفسر الوعيد المحسوس لرمزيته التصورية وابتعاده الشديد عن انماط الخيال الادبي المحددة المتعارف عليها . » فالعصابية ما ان تتجسد في نفس ما وتتقمص فيه حتى تتمكن من الانغمار في اعماق الذات والانحدار الى احط دركات الوجود النفسي ، فتثير في الذات الشعور بالغربة والانسلاخ والتملص من الكيان الاجتماعي والانغلاق على النفس والابتعاد عن شؤون المجتمع والتقوقع في دخيلة اللاشعور . وهذه امور تضافرت جميعا على شخصية كافكا فاشعرته بالانسحاق والحقارة والضياع والخيبة المرة والوقوع في مخالب شيطان الحظ الذي تمثل له امرا كونيا لا يصح له معاندته بله مصاولته ومنازلته . انه يشعر بالفشل والخيبة والذلة تنساب الى نفسه كلما اراد لقدميه الوقوف في وجه هذا الشيطان العربيد الشكس ، لكنه ما ان يفعل ذلك حتى ينهار باسرع من لمح البصر ، لفقدان قوته ولانقسام شخصيته وهل ادل على ذلك الانقسام من قوله « لقد تآمر السل ونفسي على من خلف ظهري (٢) » هكذا او بكل هذه البساطة والسذاجة والطفولية يشطر نفسه عن نفسه ويجعل للتآمر تأثيرا على كيانه بحيث يتمكن هذا التآمر من تحقيق هدفه بالانقضاض عليه وابادته ابادة جسدية كاملة وفي مدة قصيرة من الزمن نسبيا .

وهذا ما يذكرنا بعقدة الاضطهاد ، او على الاصح ، جنون الاضطهاد وهو نوع من الجنون قد يكون التأثير او شديده يصيبنا ، نحن البشر جميعا ، الا من ندر منا الا انه يصيب المجدودين منا ، من الادباء والشعراء والكتاب اصابات قتالة لا تميتهم في الحال بل تواكب حياتهم من بواكيرها الى خواتمها ، فتنغص عليهم عيشهم وتقض مضاجعهم ، وتحصي عليهم انفاسهم ، وتكيل لهم العذاب الوانا واشكالا، وحالات روسو وبوشكين وغونتشاروف ليست حالات فردية انما هي حالات يمكننا ان نوسع من حلقاتها وسلاسلها بحيث نجعلها تطبق على الكثير الكثير من المع الادباء العالميين في الشرق والغرب على حد سواء . والشعور بالاضطهاد هو الاداة الفعالة التي استخدمها شيطان كافكا في السخرية منه واستذلاله وارعابه ودفعه الى الشعور باليأس القاتل والدمار الشامل وسلبه لاي رجاء في مستقبل الحياة والمدنية والحضارة . وهو في هذا الشعور يمثل احسن التمثيل دور الموظف البسيط الذي يعيش على حافة الحياة وفي مستنقع من توافهها ، انه يتململ في عفونة واسونة ، وما ان يخرج ، بشق النفس من هذا المستنقع حتى يقع بين فكي طاحونة لا شأن لها غير التحطيم والتمزيق والتكسير انه بين بيته ودائرته بين ذلك المستنقع وتلك الطاحونة .

وانسان هذا القرن وفي مثل ما كان فيه كافكا ، يجد الغثيان بديلا عن الاستمتاع والمتعة ويجد الاشمئزاز والقرف قرينا للنزهة البريئة واللهو النظيف . انه لا يعرف غير كابوس الشيطان يتخطر ويتبختر قدامه ، يريه الطريق الضالة المضلة ، طريق الهلاك والفناء ، فينحدر اليه كافكا وهو يعرف انه طريق الموت المحقق ، ذلك بان كافكا منذ

ان شعر بوجوده ، شعر به ناقصا ، غير كامل ، لان اباه كان ذا شخصية شديده البأس قوية التأثير ، عنيفة المآخذ ، داضطر كافكا الى ان ينكفيء الى احضان امه خوفا وهلعا ورعبا خشية ان يستبد به هذا المستبد ، فيأخذه بالعنف والزراية والشده والصرامة . واذا كان كافكا يشعر بالاثم من غير وجود سبب للشعور بالاثم كما ذهب اليه فيليب زاف ، فهذا الامر يحملنا حملا على مقارنة شخصيته بشخصية دوستويفسكي الذي حمل هم الشعور بالاثم مدى حياته من غير سبب مبرر فجعل هذا الشعور محورا لاعظم اعماله الادبية كـ « الجريمة والعقاب » وجعل من راسكولنيكوف كبشا للفداء للتعويض عن هذا الشعور العنيف الذي ساوره منذ كان في السابعة عشرة من عمره، وذلك من يوم فقدانه لوالده ، وهذا التعويض واضح كل الوضوح فيما كتبه دوستويفسكي ولا يخلو منه اي من كتبه الاربعة الشهيرة (٣) .

اما شيطان كافكا اللعين، فلم يرض بهذا التعويض، لانه ينفس عن كرب ضحيته ، انما ايغالا منه في خبثه وسفالته ، نراه يحمل ضحيته حملا على العذاب والمعاناة بنفس متقطع اليم كما في « المسخ » و «القلعة» و «القضية-المحاكمة» . الانسان الضائع في كل من هذه القصص غير الكاملة ، انسان يعيش في ضباب مسموم ، في ليل مدلهم داكن تتخاطفه الاشباح المرعبة ، والمردة القتلة والجن والسعالى ، ويمسك شيطان كافكا باسباب هذا الليل الطويل المرعب المفزع ، لا يريد ان يسدل سدوله ، خشية الفجر وملائكته والشمس واشعتها النورانية والنهار ولهيب الحياة الجديدة . وفي هذا الجو المدلهم المشحون بالرعب والخوف والرعدة ، تطير نفس كافكا شعاعا ، وتتهافت ذاته لتتمرغ في دهاليز البؤس والخيبة والشعور بالقرف والمقت والانسلاخ . ان شعوره بعجزه وضعفه يحتمه عليه تهاونه في الانفلات من هذا الليل الطويل ، واحساسه بأنه صيد هين وفريسة قريبة وهو يقول في هذا الصدد « تلعب كلاب الصيد لاهية في الفناء ، ولكن الفريسة لن تفلت من يدها رغم ذلك مهما كانت سرعة جريها بين الغابات . » هكذا وبكل سهولة يصح الايمان بشيطان الحظ الرهيب . الكلاب تلهو والفريسة تعدو ، ولكن لا مفر من الانقضاض والامساك والتمزيق والافناء . هكذا تجري الحياة وعلى الانسان أن يتقبل مصيره وانفه في الرغام . لا مشاكسة ولا معاندة ولا مصاولة، اذ ان الكفاح عبث لا طائل تحته .

وهذه الحتمية العنيفة لحيوانية الانسان وجبنه في مجابهة الحظ الغشوم ، تدمغ كافكا بمختلف مدامغ الجبن الفردي فتشعره بانه وحيد فريد لا ملجأ يفزع اليه ولا ملاذ يلوذ به ، وبخاصة اذ عرفنا انه لم يكن ليؤمن باي عقيدة من العقائد او دين من الاديان بالمعنى الدقيق من الكلمة ، والا لكان ذلك له خير معين وناصر يصد عنه بعض اذى شيطانه الذي يريد به الشر ، على ان يكون عميقا في تاثيره ، وخازا في نفاذه ، ممزقا في ضرباته ولكزاته .

اما استسلام كافكا لشيطانه ومطاوعته له مطاوعة الغنم الذئب المهاجم فواضح كل الوضوح في كل ما الفه ولذا كان زاف على حق في قوله بهذا الخصوص : « قد كان في شخصية كافكا عنصر من الخضوع الجوهري يمنعه من الشروع في اثبات اي اتجاه معروف عن الحياة او اي فكرة عنها » كما كان كافكا صادقا اصدق ما يكون الصدق حين قال « انه لا يثبت الا نفسه ، وبرهانه الوحيد هو ذاته ، ولذلك فان خصومه قد تغلبوا عليه في الحال ، ليس عن طريق دحضه (فهو ممن لا يمكن دحضهم) ولكن عن طريق اثبات ذواتهم . » وبهذا اليسر من القول نراه ينحدر الى حضيض الذاتية ممعنا في انحداره ، منسلخا عن ابناء جلدته ، ومع ذلك فان زاف يعتقد بان « كافكا كان رجلا ذا مزاج ديني » اي انه كان ذا نزعة دينية استسلامية ، اعتقد ان عليه الاصطبار على الحياة في دنيا السجن هذه من غير تبرم او تأفف ومن غير ذنب اقترفه ، او جريمة اجترحها ، وهذه البراءة الظاهرية متوزعة هنا وهناك وبخاصة في « المحاكمة » فعندما يسأل الرسام البطل (ك) (٤) ، وكاف هذا يمثل كافكا احسن التمثيل ، ويقول : « أأنت بريء ؟ » يجيب كاف « نعم » . ان الجواب عن هذا السؤال اعطاه شعورا بالسعادة الحقيقية ، وخاصة انه كان يجيب فردا اعتياديا من الناس ومن ثم فلا خوف عليه من العواقب . لم يسأله احد هذا السؤال الصريح من قبل قط . ولكي يستكمل فرحته اضاف قائلا : « انا بريء كل البراءة » فقال الرسام بعد ان احنى رأسه كأنه مندغم في فكرة : « هذا ما أراه . ولكنه رجع الى التساؤل مرة أخرى قائلا : « أن كنت بريئا ، فالمسألة بسيطة جدا» أسودت عينا كاف . ان هذا الرجل الذي قال انه على اتصال بالمحاكم ، كان يتكلم وكأنه طفل غرير . وبعد كل ذلك اضطر الى الابتسام ، ثم هز رأسه ببطء وقال « عليّ ان اقاتل ضد مراوغات عديدة لا حصر لها ، ومن المحتمل ان تخسر المحكمة الدعوى . لكن ، في النهاية ، ومن لا شيء ستنسج نسيجا هائلا من الاثم » والعدو هنا بارز يشير الى عدوه باصبع الاتهام من غير ان تكون له القوة والقدرة على فعل اي شيء مع علمه المسبق بخسارة دعواه وانتصار باطل خصمه على حقه المبين ، فالخصمان ليسا على صعيد واحد ، من وجهة نظر القانون الاعتيادي نفسه ، والا لعرف المدعي عليه كيف يدافع عن نفسه بجدارة ، وهو الاريب الاديب الذي عجمت عوده كوارث الدهر ونوازل الزمن حتى برته ، فكيف لا يقدر على اخذ حقه من مغتصبيه ؟ ان ذلك عائد الى شيطان كافكا الذي استغل معدنه الطيب

---

(١) مجلة القصة عدد ١٢ سنة ١٩٦٤ ترجمة ماهر البطولي .
(٢) المصدر نفسه . (٣) هي « الجريمة والعقاب » و « الابله » « والشياطين » و « الاخوة كارامازوف » . (٤) هو بطل قصة « المحاكمة » . (٥) هي مذهب صوفي موغل في الطلاسم والرموز ، هدفها البحث عن العالم العلوي والتشبث بالملكوت الالهي .

فاغواه واهوى به الى وهدة سحيقة القرار من « الكآبة والعجز والضعف والخيالات المحمومة التي تراود السجين» وشيطان الدهر الذي اهوى به الى ما اهوى جعله عاجزا ضعيفا مريضا بالوساوس ، تتقاذفه الهموم وتتطارحه الغموم ، وهو لا يدري يمينه من يساره . وفي هذا الصدد يقول فشر في كتابه « ضرورة الفن » : « شيء مجهول هائل يغلف كل شيء . اسماء الشركات الكبيرة والمؤسسات لها تأثير الهيروغيلوفيا التي تستخدمها قوة سرية معينة . ان الفرد يواجه مكائن هائلة لا شخصية وغير مفهومة قوتها وحجمها تملأه بشعور من الضعف والوهن والعجز . من الذي يقرر ؟ من هو المسئول ؟ الى من الملاذ طلبا للعدل والعون ؟ هذه هي الاسئلة التي تتوالى من حين الى حين في كتابي كافكا العظيمين « المحاكمة » و « القلعة » ثم يستطرد فشر قائلا : « ان البيروقراطية هي العنصر الجوهري في انفصام الانسان من المجتمع . ليس لدى البيروقراطي صلات وعلاقات انسانية بل مجموعة من السجلات ، من الاشياء . الموتى لهم فهارسهم الخاصة ، حتى الانسان الذي يستدعى بصورة شخصية لا يستدعى بوصفه شخصا معينا بل بوصفه (دعوى) . وفي «المحاكمة» يشرح المحامي الامر الى كاف ويخبره ان العريضة الاولى للدفاع لا تقرأ في المحكمة بل هي توضع في السجل ببساطة المفروض انها ستفحص بالتالي . ومن المؤسف ان هذا ليس صحيحا في معظم الحالات ، قد تكون العريضة الاولى وضعت في غير موضعها او انها ضاعت ، واذا بقيت سالمة الى النهاية ، فهي لن تقرأ في اكبر الظن ، ومع ذلك اعترف المحامي بان هذا الامر ما هو الا اشاعة . فالاجراءات لم تحفظ سرا من الجمهور حسب بل من المتهمين ايضا . . »

ومن ثم فان كاف واحد من ابطال كافكا المعذبين الذين لا يجدون دفعا للعذاب غير العذاب ، وهم لهذا يعيشون في خضم من المعاناة الحقيقية والوهمية على حد سواء ، معاناتهم الحقيقية تتمثل في المحيط الذي يعيشون بين انيابه الحادة ، هذا المحيط الذي يعلمهم الذلة منذ طفولتهم فتصبح خصيصة من خصائص جبلتهم ، فتضيع شخصياتهم في ثنايا سجلاتهم على انها اسماء ذوات مسميات تتشابه في الفحوى والمضمون تشابه السجلات بعضها لبعض ، وخير شاهد على ما نقول جوزيف كاف (ك) الذي لا ينفصل عن سجله الا ليدخل اسما جديدا في سجله ، وهو الموظف النزيه في المصرف ، الذي يعرف الارقام معرفة العالم بقضايا علمه واساليب حل مشاكله . ومع ان النزاهة هي طابع هذا الموظف البائس المسكين الا انه يظل ضعيفا وانيا ، تأخذه الرعدة لابسط اشارة ، ويبتلعه الخوف من ابسط حركة من اي كان من رجال السلطة والقانون لا لانه متهم تحوم حوله شبهة ، ولا لانه مذنب النية يريد اجتراح اثم فتتعثر خطاه وتتخاذل مشيته ، لا لهذا ولا لذاك ولا لا شيء آخر ، انه نزيه مستقيم عفيف ساذج بسيط ، لا يعرف المراوغات والمخاتلات واللعب على الحبال والانتقال من صف الى صف حسب الظروف والاحوال ، ولذا فهو خائف ، مرتعدة اوصاله ، منهوكة قواه ، مبعثرة اعصابه ، متوترة انفاسه ، لسبب بسيط كل البساطة ، يسير كل السيرة ذلك انه فريد وحيد ، انسان مهجور ملعون ، هوى به الشيطان الى اسفل سافلين بان جعله ينسلخ من مجتمعه من غير ان يجد له طريقا يسلكها في الواقع ، او سبيلا يرنو اليه في الرؤى والاحلام على الاقل .

هكذا هوى كافكا لانه لم يحاول ان يصاول ويجاهد ويصارع ، فقد انهكه الوهن قبل ان يعرف دربه الى القوة والصمود والوقوف على القدمين . انه انهار في اول صدام ، وكأن هذا الانهيار بداية لانهياره التام . واذا كنا نعرف ان كافكا تابع امين لشيطانه ، وان شيطانه ليس من اتباع ابليس الثائر المتمرد بل من هؤلاء الشياطين الضعفاء الذين لا يعرفون للحياة معنى غير الخضوع والاستسلام ، فالامر العلوي امر مطاع رغم انف الجميع ، لان قانون الطبيعة سار على البشر سريانه على كل ما هب ودب في هذا الكون الفسيح . وافكار كافكا في الكون وفي الاله المسيطر على هذا الكون تشرحها موسوعة القارىء بقولها : « الافكار السائدة على ذهن كافكا كما تعبر عنها كتاباته هي: لا جدوى من محاولة الانسان لفهم سنن الله وشرائعه ، ضرورة الاستسلام والطاعة لله من غير تساؤل ، ضرورة مجاهدة الانسان من اجل اكتشاف ما يطلب منه من قبل الله ، مع العلم ان الفوز بذلك والظفر به يتوقفان على موقف الانسان لا على مدى استيعابه الذهني ومدى ادراكه . » والموسوعة في هذا على حق اكيد ، لان دلائل الاستسلام لدى كافكا اكثر من ان تحصى فهي متناثرة في كل كتاباته المعروفة من اضراب « المسخ » و « القلعة » و « المحاكمة » و « امريكا » .

لكن الاستسلام هذا لم يكن هادئا ساجيا لطيفا سهلا ، بل كانت تشوبه شوائب مرضية عنيفة ، اذ ان الرؤى المزعجة ، والاحلام المرعبة والكوابيس الفادحة الثقل والامراض المتعاورة على جسمه النحيف الناحل كانت جميعا تأخذ بخناقه وتريه نجوم الضحى نجما نجما في رابعة النهار . وهكذا كان يتمزق الاديب الاصيل ، فيعبر عن هذه الآلام تعبيرا متساوقا ، في العمق مع الشعر ، منسجما مع الاداء القصصي احسن ما يكون الانسجام ، لان كل ما كتبه كان يعبر عن نفسه بامانة المؤمن وحرافة العصابي ، وصدق الرائد ، وهوان المستسلم . واذا ما كان في هذا ما فيه من نقيض يدفع نقيضه ، فان حياة كافكا كلها كانت مجموعة من النقائض ، ولذا رأى استمراره في الحياة امرا لا يتفق مع الحياة ، وهو ، في هذا الشأن لا يمثل نفسه حسب بل يمثل (طبقة) من الموظفين الصغار الذين يعيشون على هامش الحياة . ولذا يقول فشر عنه : « ان انسلاخه ينعكس في فكرته الضئيلة عن السياسة

ترانيمي حنانيك

ترانيمـي حنانيك فانـك صرخـة الالـم
اذا وليـت أدبارا فمن يحنو على سقمـي
اعيديني الى عودي ، لاجثو لاصبا قدمـي
اعيـدي اللمس للاوتار تعلو قمـة الهـرم
ابثك هامسا شدوي وحينا صارخا ، نغمي
اذا ما غبت عن دنياي من احكي له ندمـي
دموع العين قد نضبت وطرفيقد عمى فامي
حنانيك ترانيمي فعـودي الآن وانتظمـي
فاني في النوى عنك شريد راعني صممـي
فمدي لـي ذراعيك وكوني انت معتصمي
لالمس معقـل النجم واصعد معك للقمـم
حنانيك ترانيمـي ، افيضي هات لـي نغمي

القاهرة — سعاد منسى

والسياسيين . انه يرى ان القضية كلها قضية قذرة وهو مقتنع بذلك كل الاقتناع ... وان عليه ، في الواقـع ، الاستسلام لتلك الحال لاستحالة فعل اي شيء حيالها . وهكذا يزول المواطن الفعال وتصبح العزلة والركون الى الحياة الفردية شعار الساعة واليوم الراهن » .

ومن هنا ، فشلل كافكا السياسي سبب مهم في عزلته واعتصامه بصومعته ، وتكاثف ضباب عصابيته ، وعـدم فهمه لمرتبته الاجتماعية ، وعدم استطاعته فهم دوره بصفته كاتبا من الكتاب التعبيريين المعروفين ، وهو لهذه الاسباب كلها فقد مكانته في ريادة حركة الطليعة الفكرية الادبيـة التي كان يمثلها اناتول فرانس وباربوس وجول رومـان ورومان رولان في فرنسا ودرايزر في الولايات المتحـدة وتوماس مان وهنريخ مان وارنولد رفايغ في المانيا الخ . . هؤلاء الذين اقاموا الدنيا واقعدوها بكتاباتهم التي وضعت النقاط على الحروف ، في عالم السحر والطلاسم ، الذي كان المبخرون من ادباء العبث والموت والخنوع للقوى العمياء يزيدونه سحرا على سحر وطلسما على طلسم ، بالجوئهم الى كتابة المعميات والاحاجي والضبابيات .

ومن هنا ، فان كافكا يمكن ان يعد من الرمزيين الذين مهما حاولت ان تتلمس المعاني في كتاباتهم فلن تجدها ، لان غرض هؤلاء هو مواجهة القارىء بسيل عرم من الالفـاظ الرمزية التي تتقاذف القارىء يمنة ويسرة من غير هـدف بارز معين وهذا ما نراه جليا كل الجلاء وخصوصـا فـي « المحاكمة » و « القلعة » . الا ان ذلك كله لا يعفينا من عد كافكا استاذا عظيما من اساتذة الرواية العصرية ، استند فيما كتب الى لباب الفن الروائي ، فاستخدمه استخدام فنان اصيل ، بارع الاداء ، دقيق التخريج ، واسع الافق ، عميق الدلالة ، له سطوة كبيرة على الكلمات تأتيـه صاغرة متى شاء لتنتظم على حسب الخطة التي يريد . ولا شك في ان « القلعة » هي اعظم ما كتب ـ على ما ذهب اليـه خيرة النقاد . وفن كافكا ، بلغ ـ في هذه القصة الفريدة ـ ذروة الابداع ، اذ واجه فيها بطله القانون والامر العلوي مواجهة عارية من كل قناع ، فكأنه بذلك يعـرض الانسان عاريا من كل لبوس ازاء العالم والكون وهذه التعرية عمـل شيطاني دبره شيطان كافكا لكي يجعل منه ضحية تواجـه القانون والنظام مواجهة فاضحة عارية ، يتمثل ذلك فـي البطل الذي هو كافكا بالذات ، في حقيقته المسالمة المستسلمة في نفسيته الخانعة المنهزمة ، في صدامه مع والده الذي لن ينساه ما دام حيا يرزق ، في بيئته البيروقراطيـة التافهة ، في حياته الرتيبة الممتدة في مسار الزمن عبثا ، في كل ما ألم به من شؤون هذه الدنيا وشجونها . وكـل ذلك في وصف اخاذ متكامل متماسك متجانس ، في كيان نام حي ، يندغم الشكل في المضمون اندغاما عضويا حيا .

وهذا الابداع الروائي هو الذي حمل النقاد بعد الحرب العالمية الاولى على ان يضعوا كافكا في مصف جيمس جويس وبروست . وطبيعي ان ينقسم النقاد في تقييمه احزابا وشيعا فيعده بعضهم ممثلا حقيقيا لطبقة مـن الكتاب البروقراطيين البائسين ، ورأيهم في ذلك يعتمد على مـا تنضح به كتاباته من الم موخز دفين يعبر تعبيرا رمزيا عن الرتابة والتفاهة السطحية التي تعيشها تلك الطبقة من الكتاب . وثمة نقاد آخرون يرون فيه كاتبا صوفيا يسوقه الوجد الى معرفة المجهول من هذه الحياة وهذا الكون بما فيهما من رموز ودلالات ويستدلون على ذلك بتأثره العميق بكتابات سورين كيركفورد ، الاب الروحي للوجودية المسيحية وتعلقه « بالقبالة (٥) » اليهودية التي لها تأريخ موغل في القدم في البحث عن كل ما هو مجهول وسري في هـذه الحياة خاصة وفي الكون عامة ، وبديهي ان تكون لهـذه الصوفية الخاصة ـ في فرعيها المسيحـي واليهودي ـ تأثير غير منكور في تكوين وجهة نظر كافكا نحو العالم ونحو الطبيعة . ومع ذلك ، فاننا لا نزال نعتقد ان شيطانا معينا تقمص جسد كافكا وحل فيه وما هذا الشيطان غير نصيبه الخاص من الحظ المقدر له متمثلا في مجتمع اعمى يثمن الاشياء اكثر من تثمينه للبشر ولا سيما الممتازين منهم ، بل انه ، في عماه وجهالته ، ليدوس هؤلاء ويسحقهم سحقا، وكان هو واحدا من هؤلاء الذين سحقهم المجتمع بصلافة وصفاقة وتحجر لا تليق الا بالشيطان ، شيطان كافكا .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة



مكتبة الاديب

ادونيس وعشتروت

ملحمة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٤٨ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

الشعر الاسطوري او الملحمي في ديوان العرب يكاد يكون مفقود الاثر هجين النسب مقطوع الصلة ، لا راعي له ولا كفيل . ولكن بعض القرائح نشطت في مطلع هذا القرن الى معالجة هذا الفراغ وسد هذه الثغرة والعمل على تعزيز شانه ورفع مستواه .

ولعل اول محاولة في هذا السبيل قصيدة شوقي :

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء

فهي ملهمة شعرية طويلة النفس واحدة البحر والقافية تسجل ابرز ملامح التاريخ المصري وما يتصل به من احداث عالية كبيرة باسلوب تضافر فيه الخيال مع الواقع وامتزجت الخرافة بالحقيقة والتقت العظة البالغة الباهرة بالغمزة الساذجة العابرة . وشوقي ـ آية هذا الزمان ـ اقدر من يجمع بين النقائض ويجترح خوارق الشعر ويربط افانين الفكر في سلك واحد ويصوغها قلائد وهاجة في نحر الخلود .

وتلتها بعد ذلك مسرحياته الشعرية في كيلوبترة وقنبيز ومجنون ليلى وعنترة ، وهي في رأينا تدخل في باب الشعر الاسطوري اكثر مما تدخل في باب المسرحيات ، فكان ان انتعش هذا الوليد الجديد وبدأ يقف على قدميه ويثبت وجوده ويستلفت اليه الانظار .

وطلع شفيق معاوف بمعجزته الخالدة « عبقر » فاشتد ساعد هذا اللون من الشعر وخطا اولى خطواته الحاسمة واخذ يفرض هيبته ورجولته . وكانت هذه الملحمة ـ الى جانب قيمتها الشعرية والفنية والبيانية ـ ردا قاصفا قاصما للذين يتهمون الفكر العربي بالعقم والجمود والسطحية ويزعمون ان العربية لا تصلح اداة للتعبير عن خلجات النفس ونزعات الضمير وموحيات العقل ولا تسلس الا لشعر البادية والناقة والاطلال .

وفي خلال هذه الحقبة تعاقبت مواليد الشعر الاسطوري او الملحمي تتفاوت قوة ووهنا وتتأرجح بين الجودة والرداءة ، فكانت على اختلاف درجاتها ومستوياتها روافد مدت الشعر العربي بغذاء شهي ونفخت فيه نفخة جديدة ولقحته بدم فتي وزادت ثروته سعة وانطلاقا وشمولا .

وفؤاد الخشن واحد من الذين خاضوا المعترك بحرارة وايمان ، فقد نشر في الآونة الاخيرة ملحمة شعرية اسمها « ادونيس وعشتروت » وهي اسطورة ترمز الى صوت الطبيعة في الشتاء وانبعاثها في الربيع . وتقول الرواية ـ ونحن ننقل عن غلاف الكتاب ـ ان اللبنانيين كانوا يستقبلون هذا البعث في اعياد شعبية رائعة عرفت باسم «افراح ادونيا» فيطوفون في الدروب حاملين الازهار عقودا واكاليل ، والثمار الناضجة على الاطباق ابتهاجا بعودة ادونيس اله الخصب من ظلمة الموت الى نور الحياة ، هذا الاله الجميل الذي قدم قلبه قربانا مقدسا للارض الخيرة وخضب مياه النهر بدمائه . وكانوا يعتقدون ان ازهار النرجس المنثورة على التلال ان هي الا دموع الآلهة الفاتنة عشتروت على حبيبها ادونيس، هذه الالهة التي تفجر بصلواتها ودموعها خيرات الارض الجافة ايذانا باطلالة ادونيس وعودة الربيع .

هذه هي الاسطورة مجملة في كلمات ، فهل استطاع فؤاد الخشن ان يغوص الى اغوارها ويقبض على اسرارها ويستخرج ما فيها من مكنونات السحر والالق والجمال ، ومن ثم ان يصوغها شعرا صافيا ؟.

يقول عمر ابو ريشة : فؤاد الخشن شاعر يعرف كيف يجنح الحرفويطلقه في دنيا الحب والجمال ليعود مثقلا بالعطر والانداء .

وهذه الشهادة من شاعر عملاق تغنينا عن الاستطراد والاستشهاد والتفصيل ولكن لا بد من نقلة عابرة في رياض الملحمة ونظرة خاطفة تجلو بعض ملامح الصورة فان فيها من ترف الفن وروعة الوصف وقوة الخيال وحرارة البيان ما يغري ويغوي ويسكر .

يبدأ الشاعر قصيدته بتمهيد رشيق انيق يرسم فيه حدود الاسطورة من مكان وزمان ثم يستطرد الى ميلاد عشتروت فيقول :

وافاق الزهر في فينيقيا ذات صباح
فاذا في الشط انوار وترجيع صداح
وفراش يغمر الموج بالوان الجناح
وغبار ذهبي سكرت منه الاقاحي
واذا في الشط في تلك الرمال السمر طفله
حسنها حسن غريب لم تر الاعين مثله
كلما سارت على الشط بخطوات مدلة
قبل الرمل خطاها قبلة في كل نقله

حدث الملاح عن مولدها الزاهي الغريب
من كرات الزبد المشرب بالنور الذهيب
خرجت لؤلؤة من صدف الشط العجيب
وتهادت تنقل الخطو على الموج اللعوب

بهذا الاسلوب المشرق اللعوب صاغ فؤاد الخشن موضوعه ونحن لم نجهد في اختيار الابيات ، فالقصيدة من بابها الى محرابها تجري على هذا النهج العالي في التعبير وهذا الطراز المترف في التصوير . وقد جعلها الشاعر على بحر واحد ولكنه تانق في تنويع المقاطع وتلوين القوافي فاتسع لديه مجال الابداع وانبسطت امامه آفاق التحليق وحمل القارىء على جناحه القزحي الى عالمه المسحور لا يفيق فيه من نشوة الا ليقع في نشوة ، ولا يمسح جفنيه من رؤيا حتى يغمسهما في رؤيا احب واشهى وامتع .

قيثارة فؤاد الخشن ذات اوتار متعددة ، ولكن اعذبها واطربها واوقعها في النفس وتر الشعر العاطفي ، ففي هذا الشعر يرتفع الى اعلى عليين . انه في هيكل الحب والجمال يستنزل الحانه من السماء ويصبغ اغانيه بالوان الربيع ويضمخ نجاويه بانفاس القرية . وملحمته في عشتروت وادونيس اهزوجة رفافة شفافة تحقق قول عمر : فؤاد شاعر يعرف كيف يجنح الحرف ويطلقه في دنيا الحب والجمال ليعود مثقلا بالعطر والانداء .

بوانس ايرس ـ الارجنتين

زكي قنصل

العرب في صقلية : واثرهم في نشر الثقافة الاسلامية

تأليف يوسف حسن نوفل ــ ٩٦ صفحة ــ منشورات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ــ مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر مطابع شركة الاعلانات الشرقية (؟)

« واذا تمثلت الحضارة كما يقولون : في حسن الخلق والذكاء ، وفي العمران المبني على الذوق ، وفي العلم الناشىء على التفكير ، وفي الثراء والبذخ ، وفي الاستعداد للدفاع عن الدولة من غير خشونة او مغالاة تقضي على جوانب الحياة الاخرى ، اذا تمثلت الحضارة في ذلك فمن الحق ان اقرر ان حضارة الاسلام في صقلية جمعت ذلك كله » .

عبارة مشعة ضمها تمهيد الكتاب رسمت امام القارىء كل ابعاد الموضوع . وهو العرب في صقلية واثرهم في نشر الثقافة الاسلامية . وقبل ان يضع كاتبنا النقط على الحروف الح في اشارة موجزة الى صقلية والصقليين ، فصقلية مدن عنيدة حصينة امام كل فتح ، وهي هضاب ومرتفعات تتوسط افريقيا واوروبا فهي ملتقى حضارات فينيقية ويونانية وورومانية وقوطية وبيزنطية وعربية . وقد اختلطت بدماء المسلمين منذ نزلها حبيب بن ابي عبيدة حفيد عقبة بن نافع الذي تلاه سقوط اغلب مدنها في ايدي المسلمين مع الاكتفاء باخذ الجزية من المدن الباقية .

وتحديدا للموضوع في اطار ملموس قسم المؤلف الموضوع الى قطاعات تمثل جوانب الفن والثقافة في صقلية والدور الذي قام به العرب المسلمون في هذا الحقل ، ففي قطاع اول تناول الادب والفن ، تناول الادب في صفحتيه : الشعر والنثر ، اشار في الاولى الى التبادل الثقافي بين صقلية وغيرها حيث ترددت اشعار صقلية فيمصر وافريقيا والاندلس وكيف كان اثر صاحب العمدة والانموذج « ابن رشيق » على النشاط الادبي ، وبين ان الشعر الصقلي حفل بملامح البيئة ولم تنضج شخصيته الا عام ٣٥٩هـ مع ان الامتداد الزمني لما يؤرخ له ٢١٢ ــ ٤٦٤هـ فنما الشعر الصقلي على اثر الفتنة التي سقط على اثرها الكلبيون وتقسيم صقلية الى دويلات ، وظهر اتجاهان : زاهد ، وجائع وظهرت اوزان شعرية جديدة انتقلت بعد ذلك الى ايطاليا . وفي صفحة النثر بين المؤلف ان « بلرم » شهدت نهضة ادبية على ايدي عناصر افريقية ، وان من كتاب الانشاء ابو عبد الله بن الطوبي ، وان اهم حدث هو وصول ابن رشيق بكتابيه السالفي الذكر الى الجزيرة .

ثم تناول الفن في ملامحه العديدة : في العمارة حين داعبت انامل المسلمين الصخر لتحيله الى قصور تضارع الاحلام ، فهناك المساجد ذات الملامح الفنية العربية ، وهناك القصور كقصري القبة والعزيزة ذاتي الفن الخالد الذي اقتبسه الاوروبيون وخاصة طريقة تخطيط الواجهات في المباني الرخامية ، ثم مآذن المساجد وابراج النواقيس التي اتخذت بعد ذلك في كنائس ايطاليا ، وفي الزخرفة والرسم والتصوير كان الفنان المسلم دقيقا ميالا للزخرفة ، لهذا بقيت الاساليب الفنية سائدة حتى بعد ذهاب المسلمين عن صقلية ، وذلك لبراعة الخط العربي وجماله الذي ادهش الاوروبيين ، وهناك زخرفة جاود الكتب والتصوير ، ووجدت التماثيل في القصور .

وفي التحف العاجية تمثلت كل الصناعات العاجية ، وظهرت روعة الحفر في المنابر ، اما من ناحية الزجاج والبلور والخزف والنسيج فقد قامت المصانع الشهيرة ، وتضمن نشاط الموسيقى ترجمة ابحاث اليونان فيها ، والمعروف أن العرب سبقوا الاوروبيين الى نوع من الهارموني يسمى التركيب فتأثر الاوروبيون بالموسيقى العربية واتضح ذلك في مثل: Lute اي عود ، Timbal اي الطبل وهم اول من دون النوتة الموسيقية .

وفي قطاع ثان تناول الجانب الثقافي والعلمي ممثلا في جمع الكتب التي توالت على صقلية واخذت تمطر المكتبات للصقلية بوفودها كاليتيمة للثعالبي، واستوردت الكتب من الخارج اولا باول وساعد انتشار الورق وشهرة صقلية به على انتساخ الكتب المشهورة في المشرق والمغرب العربي كما تمثل ذلك الجانب ايضا في الترجمة حيث استفادت الحضارة الاسلامية من السابقة وشرعت الكتب تترجم من والى العربية ... وقامت صقلية بدور كبير بوصفها ملتقى ثقافتين ورائدة في مجال التفوق وتحدث الاستاذ يوسف نوفل عن منزلة اللغة العربية وانتصارها الساحق وكيف تسابق الاوروبيون الى معرفتها بغية الوصول الى كنوزها الفكرية ، وانتقل بعد ذلك للتاليف والبحث العلمي حيث وجدت المجامع العلمية مع تساوي النظرة الى العلماء بغض النظر عن جنسياتهم او اديانهم فعمل المسلمون بنظام البعثات العلمية ونظام الرسائل ، وفي مجال البحث العلمي قسم البحث العلمي الى شعبتين : الجانب النظري والجانب العملي ، فيعرض للجانب النظري بطريقة تخصصية تشمل التفسير والقراءات حيث غصت حلقات المساجد بالعلماء ، وتمتعت الدراسة الاسلامية بنوع من العناية فشاعت قراءة نافع وظهر موطأ مالك في الحديث ودخلت « المدونة » في الفقه المالكي ودارت حولها حلقاتالنشاط العلمي وفي علوم اللغة استعان العلماء بالوارد من المشرق والمغرب ، وفي الفلسفة عرف الصقليون الكثير امثال كتب ابي حيان للتوحيدي في التصوف والفلسفة وذكر المؤلف من متصوفي صقلية عبد الرحيم الصقلي وكان المثل الكبير للنشاط الجغرافي والرحلات في صقلية هو الشريف الادريسي ولذلك خص من بين الرحالة والجغرافيين بحديث فريد .

اما الجانب العلمي العملي فقد احتوى نشاط العقلية الاسلامية في تلك الفترة حتى بعد انتقال الزعامة الى النورمان ففيه : الطب حيث تقع ايدينا على كتاب ابي علي بن سينا عن عدوى السل والالتهاب الرئوي وغير ذلك من المصادر التي اعتمدت عليها جامعة « سالرنو » في مجال الدراسات الطبية ويرجع نبوغ العرب العلمي الى اعتمادهم على التجربة والترصد والى جانب الطب نجد الصيدلة والكيمياء والرياضة والفلك والهندسة ، ثم ختم الجانب العلمي بكلمات عن الجامعات والمدارس مع الاشادة بتفوق معلمي صقلية حيث ملأوا المساجد وجعلوها مدارس لتدارس العلم فقامت مقام الجامعات وزاد الاقبال على الدراسات العربية في القرن الرابع عشر الميلادي فاستمدت جامعتا اكسفورد وباريس عن العرب مؤلفاتهم عن طريق صقلية ملتقى الثقافتين القديمة والحديثة .

وفي قطاع ثالث تناول الاستاذ الباحث يوسف نوفل الجانبالاقتصادي، فالصناعة في صقلية بلغت اوجها في التقدم فاستخرج الصقليون من الجزيرة الحديد وصنعوا الحرير وآخذ عنهم الاوروبيون صناعة الفسيفساء ، كما قطعوا في ميدان الزراعة شوطا كبيرا مما جعل مؤرخا كالشريف الادريسي يؤلف كتاب « الجامع لاشتات النبات » . ودخلت انواع عديدة من المزروعات ونرى فضل المسلمين في نقل نباتات قيمة الى عالم البحر الابيض المتوسط ، ولهذا الاهتمام الزراعي كثر تردد البساتين والمتنزهات والفوارات في الشعر ، وفي التجارة اتصل المسلمون بمنافذ عديدة واجتذبوا رضا العناصر المتعاملة معهم .

وفي قطاع رابع لمس الجانب الروحي والانساني لمسا خفيفا لكنه غاية في العمق مبينا ان المذهب الانساني الذي تظهر سماته في الحضارة الاوروبية الحديثة مقتبس من العرب ، وهناك المجالس الاجتماعية المتسمة بسمة العلم ، هذا بالاضافة الى احترام الاسلام للمرأة على عكس ما نراه عند اليونان .

وفي قطاع خامس واخير ظهر لنا جانبا السياسة والادارة في صورتين : صورة الجانب السياسي ممثلة في السيادة البحريةوالكشوفات الجغرافية حيث تمت تلك السيادة في نطاق الحروب واسهم الجغرافي الشريف الادريسي بقسط وافر في الشهرة البحرية ، وصورة الجانب

الاداري تتمثل في الشرطة والقضاء والقضاة والرقيق .

وفي خاتمة البحث انتقل بنا المؤلف الى صورة مركزة رسمت في ايجاز ابعاده كلها معلنة ان المسلمين لم يبخلوا بحضارتهم بل سارعوا باهدائها للانسانية كلها .

هذا هو الهيكل العام لموضوع العرب في صقلية وقفت فيه على جوانبه البارزة ، فلا علي بعد ذلك ان اقف على مميزاته ، فهو يتسم بالسمة العلمية الدقيقة التي تهتم بالوقوف على قمم الاحداث مهملة الجزئيات لهذا يعرض الباحث الموضوع في صورة مركزة جدا ، لكنها تنساب في ترابط دقيق تعانق فيه كل فكرة جارتها ، كما يسترعي الانتباه اسلوب البحث فهو الاسلوب الادبي الجذاب الذي لا تظهر عليه مسحة الاسلوب العلمي ، مسحة المعادلات والارقام ، لهذا ترى الاهتمام بالجانب الخاص بقطاع الادب والفنون الجميلة وهو شيء يتفق مع اتجاه الباحث الشاعر.

ويسترعي انتباهي الى جانب هذا صورة التفصيل بعد الاجمال التي ظهرت في عدة جوانب فبينما تضع يدك على مجموعة من اسماء الشعراء تفاجأ بتفصيل يختص فيه كاتبنا اثنين من الشعراء هما ابن الخياط وابن حميدس ، وحين يقف مشدوها امام روعة العمارة وفنها الجميل ينتقي من بين القصور اثنين هما : قصرا العزيزة والقبة .

ويبدو ان الاستاذ يوسف نوفل بدأ كتابة بحثه غير متحمس لفكرة معينة منه لذا نراه يتصف بالحيادية المحمودة التي تضفي على الموضوع سلامة وتكاملا ، وهذا راجع بلا شك الى القراءة الواسعة حول الموضوع بدليل استشهاده بآراء لفيف من العلماء والباحثين العرب وغيرهم شافعا ذلك برأيه الخاص .

وقد اهتم البحث بالمسلمين اهتماما خاصا ووضح اثرهم في الثقافات الاخرى معتمدا في ذلك على آراء الاوروبيين واعترافاتهم ، والموضوع على قصره البالغ تسعين صفحة لو مد قليلا قليلا لاصبح رسالة ماجستير او دكتوراه ، فقد استوعب كثيرا من الوثائق والمعلومات التي تخدم الموضوع الكبير مما يدل على ان الباحث اجهد نفسه في جمع المادة الخاصة بموضوعه .

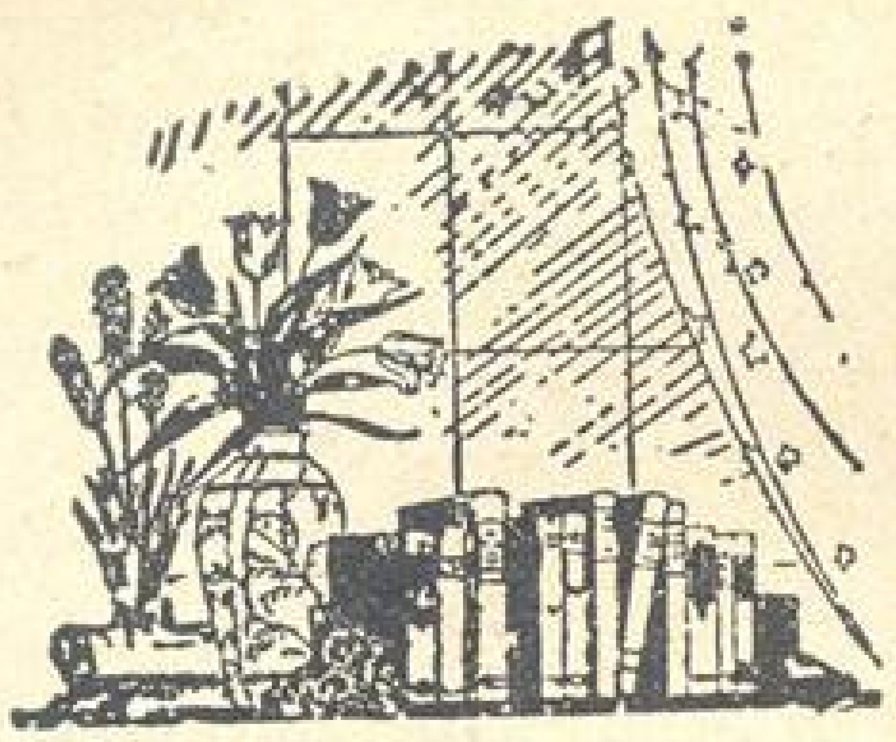
وبعد ... فلقد دفعني اعجابي بهذا العمل الطيب ان اردف مميزاته بابداء ملاحظاتي عليه واولاها تتصل بالمنهج ، فموضوع البحث العرب في صقلية واثرهم في نشر الثقافة الاسلامية ، وفي ظني ان البحث ذو شقين .. العرب وتاريخهم وحياتهم في صقلية الاجتماعية والسياسية والثاني اثرهم في نشر الثقافة الاسلامية ، الاول يتناول الحكم وامتداده الزمني والحكام على اختلاف جنسياتهم ومعاملاتهم للاهالي والمساجلات التي دارت بين العرب والنورمان ، والثاني يتناول الثقافات المختلفة ففي الوقت الذي يعرض فيه الاستاذ يوسف نوفل الشق الاول في ثلاث صفحات يتناول الثاني في الباقي ، ثم انه اورد قطاعا خامسا في آخر الكتاب هو الجانب السياسي والاداري ، واعتقد انه يتصل بالشق الاول اتم اتصال فهو موضوع في غير محله وكنت اود ان يضعه تحت العنوان «صقلية والصقليون » فهو متصل بالجانب التاريخي الذي بدأ بهالبحث.

وثانيها هي انه تعرض في ص ١٣ لذكر جانبين من الاتجاه الادبي هما : الاتجاه الزاهد ، والاتجاه الجائع واحتواء صقلية لهما الا انه لم يقف بنا على صورة لكل منهما . وثالثهما هي انه في الجانب النظري اثناء الحديث عن الجانب العلمي ذكر في الفقرة (ج) الفقه والكلام ثم انصب حديثه على الفقه وحده وترك الحديث عن الكلام ولا ادري لماذا ؟ هل هما عنده سواء ...؟

وفيما عدا هذه الملاحظات التي لا تضير الموضوع بدرجة كبيرة يصبح الكتاب سالما وغاية في القوة والاكتمال وجديرا بالحصول على الجائزة الاولى حقا كما تعود صاحبه .

القاهرة — حسن محسن

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ (Dir : 223819)
المنزل ٢٢٥١٣٩ (Dle : 225139)

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

عبد العزيز آل سعود : سيرة بطل ومولد مملكة

تأليف بنوا ميشان ـ ترجمة وتقديم عبد الفتاح ياسين ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ

ليس من العدالة ان نحمل المترجم وزر ما يأتيه المؤلف ، لذلك آثرنا عرض وتقديم كتاب «عبد العزيز آل سعود» لمؤلفه الفرنسي ـ بنواميشان ـ على دراسته وتحليله .

يقع الكتاب في ٣١٨ صفحة ، موزعة على خمسة اجزاء ـ هكذا شاء مخرج الكتاب ان يسمي ابوابه او فصوله اجزاء خلافا للتسمية الشائعة ـ وقد خص الجزء الاول بموجز جغرافي عن شبه الجزيرة العربية ، تبعه موجز تاريخي عن فترة ما قبل الميلاد حتى فجر الدعوة الاسلامية ، ثم قفز الى وصول الصليبيين ثم الاتراك وحملة الانكشارية . واخيرا الى ثورة محمد بن عبد الوهاب وسعود الكبير ، ونابليون والشرق ثم انهيار الامبراطورية السعودية وعودة الجمود . ثم انتقل في الجزئين التاليين الى موضوع الكتاب الرئيسي وهو عبد العزيز آل سعود فتحدث عن مولده وشبابه وما لقيه في هذه الفترة من حياته من ضياع ملك ، واضمحلال زعامة الى هجرة وتشرد ، ثم تحدث الكتاب عن بزوغ فكرة الرجعة والعودة الى سالف المجد عند الامير الشاب وهمته لاستعادة ما ضاع ، وانتصاراته المتوالية ، وسحقه للثورات التي تضافرت على قيامها عوامل شتى من عنعنات قبلية الى مؤامرات تركية واطماع استعمارية . ثم يتحدث عن أفول نجم الحسين ، وتبوء ابن سعود عرش نجد والحجاز .

ثم يمضي في الجزئين التاليين الى الحديث عن كفاح هذا الملك ضد عوامل الطبيعة القاهرة ، وضد شعب متخلف ليخلق منهما دولة منظمة لها دستورها المستند الى روح القرآن ونصه ، وليجر الشعب جرا في طريق النهضة الصحيحة ، والتقدم المأمول . والجزء الخامس يفرده المؤلف للحديث عن ـ البترول ـ وخطورة الدور الذي لعبه في حياة هذه المملكة الفتية .

والكتاب مزود بخمس مصورات جغرافية الاولى تحدد الهجرات البشرية عبر شبه الجزيرة العربية والمصوران التاليان يحددان جغرافية الجزيرة قبل سنتي ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، ثم يتبعهما مصوران عن مناطق البترول وخطوط انابيبه في البلاد العربية وعن آباره وخط انابيبه في الاحساء والبحرين .

وبعد ، فقد نقل هذا الكتاب الى العربية باسلوب عربي خال من الرطانة الاعجمية التي نعثر عليها في كثير من الكتب المترجمة ، وفي جمله نفحات ادبية موفقة ، ونحن لا نطلب من المترجم اكثر من ذلك فيما يتعلق بمهمة النقل ، اما الذي نأخذه عليه هو سهوه عن التعليق في كثير من المواضيع التي يجب التعليق فيها ، كأن يشير مثلا في حاشية الصفحة الحادية والثلاثين الى ان دعوة محمد بن عبد الوهاب لم تكن دعوة بسيطة ولم تكن بمثابة ثورة وانما كانت دعوة وثورة مستندة الى ضرورة اصلاحية جذرية يحتاج اليها العالم الاسلامي حينذاك اذ كان غارقا في ضلالة البدع ، وخطل التفسيرات ، وجهالة الاجتهادات .

واخيرا فالكتاب قيم يحكي قصة شعب وتاريخ ارض من خلال سيرة رجل قد كان له فضل توحيد كلمته وتثبيت قدمه على تلك الارض الطاهرة . وليس ادل على قيمة هذا الكتاب من تحمل الاستاذ عبد الفتاح ياسين مهمة اطلاع الرأي العام العربي على محتواه . وهو الذي عرف عنه ما عرف من حنكة سياسية ودهاء ديبلوماسي .

سلافة العامري



ظهر حديثا

● العرب في صقلية : واثرهم في نشر الثقافة الاسلامية ـ تأليف يوسف حسن نوفل ـ ٩٦ صفحة ـ العدد ٤٧ من سلسلة كتب اسلامية اشراف محمد توفيق عويضة ـ منشورات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ـ مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر مطابع شركة الاعلانات الشرقية (.)

● التداوي المحلي في دير الزور ـ تأليف المحامي عبد القادر عياش ـ تقديم نظير زيتون ـ ٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة صوت الفرات ـ مطبعة الفرات بدير الزور بسورية .

● رؤى ـ مجموعة شعرية ـ فؤاد العادل ـ ١٦٠ صفحة ـ طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الجاحظ والحاضرة العباسية ـ تأليف الدكتورة وديعة طه النجم ـ تقديم الدكتور جميل سعيد ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على نشره ـ مطبعة الارشاد ببغداد .

● في ذكرى فيكتور خوري ـ اصدرته الرابطة الادبية الشمالية ـ الرسوم بريشة يوسف النعيمي ـ ١٥٤ صفحة ـ منشورات جريدة الافكار اللبنانية ـ مطبعة الحضارة (؟)

● القرية المجنونة ـ مسرحية في فصلين ـ تأليف جرجي نقولا ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر (؟) ـ مطابع دار الغد ببيروت .

● هؤلاء خرجوا من القطيع ـ رواية ـ تأليف خضر نبوه ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الوفاء ببيروت .

● من الشاطيء ـ مجموعة قصص قصيرة ـ تصدير محمد حمدي عاشور محافظ الاسكندرية ـ تقديم الدكتور محمد ثابت الفندي عميد كلية الاداب باسكندرية ـ وكلمة لفوزي عبد القادر الميلادي ـ اشترك في هذه المجموعة الادباء : جلال مكاوي ، حسن فتحي خليل ، حسين رشدي احمد ، رفعت مكاوي ، شريف اباظة ، صديق شيبوب ، عمر الراكشي ، فتحي الابياري ، فوزي عبد القادر الميلادي ، محمد عادل مخلوف ، نقولا يوسف ، والدكتور يوسف عز الدين عيسى ـ الغلاف بريشة سيف وانلي ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الهيئة المحلية لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ـ ملتزم الطبع والنشر الوكالة العربية للدعاية والنشر بالاسكندرية .

● ابن بيلا .. الاسطورة ـ القصة الكاملة لثورة الجزائر ـ تأليف غالب عبد الرزاق ـ ٨٢ صفحة ـ دار منشورات البصري ببغداد ـ مطبعة دار البصري ببغداد .

● في مفهوم الزعامة السياسية : من فيصل الاول الى جمال عبد الناصر ـ تأليف الدكتور انيس صايغ ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الخيل والنساء ـ مجموعة قصص ـ تأليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

الباحثان الكنديان بانتينج وبوست الانسولين، وصارا يستخرجانه من غدة البانكرياس لدى الحيوانات ، فامكن بذلك انقاذ حياة المصابين بمرض السكر منذ ذلك الوقت .

وقد اصبح كل مريض بمرض السكر اليوم، يحمل معه حقنة الانسولين تقريبا ولا يصل الى مرحلة خطرة ، كما كان الامر في الماضي . واصبح من المستوجب على المصابين بمرض السكر اتباع حمية خاصة يعينها لهم الطبيب بعد الوقوف على كمية الانسولين التي يقوم جسمهم بافرازها ويوجه الحمية طبقها . فيمنعهم مثلا عن تناول المواد النشوية او الاكتفاء بكميات محدودة منها ، حيث يستطيع الانسولين الموجود في جسمهم القيام بتخزينها في الكبد ومنع تكاثر نسبة السكر في الدم. واذا ما اتبع مريض السكر الحمية التي وصفها له الطبيب واستخدم حقن الانسولين بانتظام ، اصبح لا يعتبر مريضا بالمعنى الصحيح . وقد صار يعيش مرضى السكر ويعمرون كباقي الاصحاء الاخرين .

ويصدف في بعض المرات ان يرتفع افراز الانسولين في الجسم لدى بعض مرضى السكر، فيختلف المفعول وتعتري المصابين في هذه الحالة عوارض خاصة ، فيشحب لونهم ، ويعتبرهم الصداع وارتجاف الاطراف ويشعرون بالضعف المستديم ، ويمكن القضاء على هذه الحالة بسرعة اذا ما تناولوا قرصا من سكر الجلوكوز . ولم يعد ينظر الى مرضى السكر كاشخاص من اهل العاهات التي تمنعهم عاهاتهم عن مباشرة اعمالهم ، بل لقد صار بامكانهم بفضل تقدم معالجة السكر ، ممارسة اغلب الاعمال . واوفق الاعمال لمرضى السكر هي الاعمال الجسيمة التي تستدعي الحركة وصرف القوى يساعدان على احراق السكر الفائض في الجسم . وقد كان هذا المرض يؤدي بحياة ٦٥ في المائة من المصابين به في الازمان الماضية ، كما انه كان يسبب لهم امراضا ثانوية اخرى ، لها خطورتها على الجسم ايضا مثل امراض الكليتين ، وانسداد الشرايين (كمرض السداد القلبي) واضطراب البصر الذي كثيرا ما كان ينتهي بالعمى . ولا بد للشخص من الذهاب الى الطبيب في الحال اذا ما اشتبه بوجود السكر لديه ، لكي يعمل على مداواته في وقت مبكر ولا يستفحل امره وتصبح مداواته عصيبة ، بل مستحيلة فيما بعد . ومن عوارضه الاولية الشعور بالعطش الشديد وكثرة ادرار البول بعد شرب الماء الكثير ، والشعور دوما بالجوع ثم بالحكة وظهور استعداد للاصابة بالامراض الجلدية ، والتهاب الاعصاب ، والتهاب الاغشية المخاطية (مثل كثرة الرشوحات الشعبية) وخور القوى والوهن المتزايدين .

في كلمات ...

● اصدر اطباء بريطانيون تحذيرات جديدة من استعمال حبوب منع الحمل . وذكر اخصائي من مانشستر انه اكتشف ازدياد الكميات من مادة تدعى العامل السابع في دم ٤٠ امرأة يتعاطين حبوب منع الحمل . وهذه المادة تجعل النساء اكثر عرضة للاصابة بتخثر الدم . وقال طبيب ايضا ان احدى مريضاته وهي امرأة في التاسعة والعشرين من العمر تتعاطى حبوب منع الحمل اصيبت بتخثر في دم احدى ساقيها واحدى ذراعيها على الرغم من انه لم يكن في ماضيها الطبي ما يشير الى احتمال اصابتها بجلطة دموية .

● اعلن العلماء في جامعة ماريلاند انهم توصلوا الى طريقة جديدة لعلاج مرض تليف الغدد الذي يصيب الاطفال . واكثر الغدد التي يصيبها التليف هي غدد الجهاز الهضمي والجهاز التنفسي . ويقول العلماء ان الغدد في هذه الحالة تفرز مادة مخاطية غزيرة وسميكة فينتج الانسداد ثم ضمور الغدد وعدم الافراز . وبعد التجارب والمحاولات العديدة اثبت العلماء ان استخدام الهرمونات اصبح العلاج السريع في مثل هذه الحالات . وقد استخدم هؤلاء العلماء جرعات كبيرة من الهورمونات الجنسية كدواء لعلاج ٦ اطفال . وكانت نتيجة العلاج الجديد زيادة في وزن الاطفال وزيادة في عملية البناء في الجسم . ويصيب هذا المرض عادة الاطفال بين سن ١٢ و ١٥ سنة . وما زالت اسبابه غير معروفة حتى الآن . وتوجد حالات مرضية اخرى مماثلة اصلها وراثي وتصيب الغدد وتحدث سوء تغذية حاد واصابات في الرئة . وكانت آخر هذه المحاولات قبل نشر العقار الجديد في المجلات العلمية ، استخدامه لعلاج طفلة مصابة بتليف في غدد الجهاز الهضمي . والنتيجة زيادة في وزن الطفلة الى الضعف تقريبا . كما اصبحت قادرة على السير بدون مساعدة .

● جاء في تقرير سوفييتي ان الخبراء الروس تمكنوا من انتاج تبغ غير ضار ، وذلك بتطعيم اشجار التبغ باشجار البندورة ! وجاء في التقرير ان النيكوتين لم يعد له اثر في التبغ.

● قدم الدكتور فوجل ، من مصلحة الصحة الاميركية تقريرا الى اعضاء الجمعية الاميركية للبيولوجيا التجريبية يفتح كوى من الامل في ان يتوصل الطب الى طريقة ميسورة سهلة بها يكشف عن السرطان وهو في بداية تسلله الى الجسم ، وبذلك يضمن للعلماء السيطرة عليه وخنقه قبل ان يعيث في مريضه فسادا .. والطريقة المقترحة تقوم على فحص دموي . ان الفكرة في الاصل للدكتور سكوت من جامعة كاليفورنيا الذي تبين ، منذ عامين ، ان الحجيرات الدموية المخزوعة من حيوان حامل لسرطان تجريبي تمتص الروبيديوم ، وهو معدن نادر ، والبوتاسيوم وهو معدن مبذول ، تمتصها باسرع مما تفعل خلايا حيوان لا شية سرطانية فيه . واما تجربة الدكتور فوجل فتقوم على تمييز حجيرات دموية بشوارد (ايزوتوبات) اشعاعية من هاتين المادتين . وبحسب الوقت الذي تستغرقه هذه الشوارد للعلوق بالحجيرات واين تتمركز . حتى الآن تبين ان العلوق اسرع واكثف في دم المرضى المصابين بسرطان الرئة مثلا او غيره من الاشكال الخطيرة . ويظل على هذا العالم ان يحدد ، على وجه الدقة ، ما اذا كان التفاعل على قدر كاف من الحساسية ، في حيث يكشف عن السرطان حتى قبل التظاهرات السريرية الاولى .

● بدات في احد مستشفيات موسكو ، التجربة الاخيرة لوسيلة جديدة في علاج امراض الجلد التقيحية . ان مكتشف الوسيلة هو الطبيب الكسندر سافرونوف الذي اقترح، منذ وقت طويل ، ازالة الاجزاء المتقيحة عن طريق الفراغ . وبواسطة انابيب خاصة ، وبدون الاستعانة بمبضع الطبيب ، يجري امتصاص الصديد ، والدمل ، والالتهاب الموضعي الحاد ، واجزاء البشرة التالفة ، بسرعة . وبنجاح شديد يجري علاج القرحة المعدية التي تتلف قشرتها نتيجة للاضطرابات العصبية ، بالوسيلة الجديدة . وتجري العملية في ظروف التبنيج التام . واذا كان العلاج في السابق يحتاج الى اشهر ، بل وسنوات احيانا ، فانه يتم الآن بسرعة هائلة .

● دخلت الادمغة الاليكترونية مجال العمل في المتاجر واخذت تقوم بقسم كبير من الاعمال الكتابية . وهناك احد هذه الاجهزة مستعمل في متجر كبير لبيع الادوات المنزلية بالمفرق في الولايات المتحدة حيث يوجد لا اقل من ٣ او ٤ الاف صنف من البضائع . فعندما يبتاع الزبون غرضا ما يقوم الموظف المولج بالبيع بوضع البطاقات الخاصة بتلك السلعة في الدماغ الاليكتروني الذي يقوم بدوره وخلال اقل من ٥ ثوان ، بتحضير قائمة الحساب للزبون وفيشة طلب البضاعة من المستودع وفيشة الى فرع المشتريات في المستودع .

جولة الأديب في شهر

معضلة السير في لبنان

مئة وعشرون الف سيارة تجتاز يوميا الوسط التجاري في بيروت . ثلاثون الفا منها تعبر ساحة الشهداء في طريقها من مكان الى آخر في العاصمة . واذا نحن استندنا بالمقابلة الى الاحصاءات الحديثة التي تجري في العواصم العالمية حول تزايد عدد السيارات لاتضح لنا ان هذا العدد سيصبح بالنسبة الى بيروت خمسة اضعاف ما هو الآن في اواخر هذا القرن . اي ان عدد السيارات التي تتدفق على المنطقة التجارية من العاصمة سوف يغدو ، عام ٢٠٠٠ ، ستمائة الف سيارة بيد ان طاقة الشوارع الحالية هي من حيث مساحتها ، اعجز من ان تستوعب السيارات الموجودة اليوم ، فكيف بها بعد عشرين عاما ، واي حالة ستكون حالة السير ؟

ثمة اسباب عديدة تزيد في تعقد الوضع الراهن ، بالاضافة الى عدد السيارات وضيق الشوارع . اهمها استخدام الشوارع كمواقف عمومية فضلا عن استعمال بعضها كمواقف لسيارات السرفيس . فاذا ضاق المقام ولم يجد السرفيس مكانا يقف فيه ، راح يدور في انتظار مكان شاغر ، مما يزيد في حركة السير العامة ويضاعف عرقلتها . ومن الاسباب ايضا عدم وجود روح الانضباط والمسؤولية لدى معظم السائقين . ولعل اضطرار سيارات النقل ، كالتكسي والسرفيس ، الى التفتيش عن الزبائن ، ثم التوقف لاصعادهم وانزالهم ، ثم الاسراع في السير او التلكؤ والمزاحمة او المخالفة كل هذه تصرفات من شأنها ان تزيد في الفوضى ، اضف الى ذلك ضيق الشوارع وخلوها من المواقف وساحات التوقف ، وكثرة مواقف الاوتوبيسات وقلة اشارات ضبط السير ، كالخطوط المرسومة واشارات الاتجاه . اخيراً يزيد في هذه البلبلة عدم تقيد المشاة بالممرات واجتياز الشارع حيثما يخطر لهم .

ان جميع هذه العوامل تزيد من الازدحام في شرايين السير الرئيسية وهو ازدحام يحدث حينما تتجمع السيارات في اوتوستراد الدورة ، وفي شارع الشام ، ثم تندفع في الاتجاهين الضيقين بشارع الارز ، وساحة الشهداء ، وهنا يحدث الازدحام وعرقلة السير ، ويتحرك القطيع الالي الذي سجن نفسه بنفسه تحركا بطيئا ، مضطربا ويتفاقم الوضع مرتين او ثلاث مرات في النهار ، عند ساعة الذهاب الى المكاتب ، والخروج من المدارس وعند مداخل السينمات ، وفي ساعات الشراء من الاسواق.

هذه الصورة عن السير قد لا تعطي الا فكرة مبسطة عما هو واقع الحال . على ان المعضلة ليست خاصة ببيروت . فهي معضلة عالمية يصطدم بها جميع خبراء السير وتنظيم المدن على مستويات متفاوتة حسب اهمية المدينة ونسبة السيارات فيها . وخاصة في اميركا واوروبا . واذا كانت المعضلة بهذا الحجم ، وتهدد في المستقبل سير الاعمال في المراكز التجارية الناشطة ، فانه لا بد من معالجتها بالنظر الى المستقبل البعيد منذ اللحظة التي نحن فيها بحيث نستبق الكارثة فلا ننتظر حلولها كي نجابهها .

على ان الحلول التي يمكن اللجؤ اليها ، مهما كان نوعها ، تستدعي التضامن والتكافل من قبل ثلاثة اطراف هي الدولة الشرطي والمواطن . فالتجاوب المخلص بين هؤلاء ثم التعاضد والتقيد بالقوانين كما ان الامتثال للضرورات التي املتها كلها واجبات تقع على عاتق المواطن كما على الدولة وعلى ممثل الدولة ، الشرطي .

هذه الحلول منها ما هو قريب التحقق ومنها ما هو بعيد المدى ، فالحلول القريبة تستهدف تسهيل حركة السير ضمن التخطيط الموجود ، أي دون اللجوء الى التعديل في الشوارع او في المسارب كما هي او في المواقف السردبية وهي حلول بسيطةلا تستدعي اكثر من تقيد السائقين والمشاة بالنظام .

ومهما تكن معضلة السير حادة ، ومشتبكة، فان حلها ممكن . ان الحلول متعددة ، ومتنوعة ، تقتضي تجنيد الامكانات القضائية ، والاقتصادية ، والمالية ، والمدنية انها عملية بعيدة المدى تنضم فيها لهدف واحد جهود الدولة ، وشرطي السير ، والمواطن .

وقد كلف وزير الداخلية مؤخرا مهندسي سير اختصاصيين هما السيد حسان عياد والسيد اديب كنفاني بتقديم دراسة لتحسين اوضاع السير في المنطقة التجارية من بيروت لا تتناول تعديل اي من الاوضاع الاساسية الدافعة كشق طرقات جديدة او انشاء مرائب او نقل مواقف هامة ... الخ . وقد استندت الدراسة التي اقدمت على تغيير بعض اتجاهات السير وتحويل بعض السير عن المنطقة التجارية للطرقات التي تحيط بها .

وقد كانت نتائج التجربة تحسناً في الاجزاء الغربية والجنوبية من المنطقة (ساحة رياض الصلح وشوارع ويغان وفوش واللنبي) وعطلا نسبيا على مدخلي ساحة الشهداء الشرقي والجنوبي (شارع الارز طريق الشام) . ومع أن الدراسة قد تناولت تجنيب السيارات هذه الساحة بالذات الا ان الضغط لم يخف عنها لعدم تجاوب السائقين تجاوبا كافيا في اتباع الطرقات التي تحيط بالمنطقة لاسباب منها ما هو خاص ومنها ما يتعلق بوضعية هذه الطرقات .

وقد استخلصت السلطات المسؤولة الدروس الاولى من التنظيم الجديد للسير ضمن الوسط التجاري في بيروت . وكان هذا التنظيم الذي يتم على مراحل قائما اولا على اعادة النظر في الاتجاه ، ثم على تحويل وجهة السير لتخفيف ما يحدث من عرقلة .

واذا ما كانت هذه العملية قد اسفرت عن تحسين ملموس ، فانها لم تنجح حتى الآن في تسهيل السير في المآزق التي تقع على الاخص عند نهاية شارع الارز ، وساحة الدباس .

وسبب ذلك واضح وبسيط يعود الى عدم تقدير السائقين ، فمن ١٢٠ الف سيارة تجتاز الوسط التجاري في بيروت ، تعبر ثلاثون الف سيارة ساحة الشهداء ، وهي متجهة الى مناطق مقابلة في اطراف العاصمة .

ويعود سبب ذلك ايضا ، الى عدم التقيد بالنظام . وقد دلت الاحصاءات الحديثة على ان ثلاثين مخالفة لقوانين السير ترتكب كل دقيقة من جانب السائقين ، و ١٨٠ مخالفة من جانب المشاة الذين يتجولون في ساحة الشهداء وحدها .

واذا نحن القينا نظرة على العواقب المرتبة على عرقلة السير اتضح لنا انها جسيمة الى حد قد يصعب على السائق العادي تصوره . ومن اجل تكوين فكرة عن الاضرار التي تنجم عن عرقلة السير ، نعتبر ان كل سيارة تجتاز المنطقة الحساسة من بيروت تقل ثلاثة اشخاص كمعدل وسط ، بما في ذلك سيارات الاوتوبيس ـ فاذا احتقن السير خلال عشر دقائق فقط ، تكون الخسارة في الوقت التي تلحق بمائتي الف شخص يجتازون الوسط التجاري ما يعادل مائتي الف ليرة يوميا ، او ستين مليون ليرة في السنة . يضاف الى ذلك ثمن المحروقات ويقدر بخمسة قروش لكل سيارة خلال عشر دقائق ، مما يجعل خسارة الاستهلاك ـ ٥٠٠٠ ـ ل.ل. بالمحروقات ـ ٢٥٠٠٠ ـ ل.ل. في اليوم اي ٦٠ مليون ليرة في العام . ويقدر الخبراء ان عدد السيارات المسجلة في لبنان يكفي لتغطية طريق بيروت دمشق ثلاثين مرة .

هذه الارقام تحمل على التفكير والتروي ، لا سيما وان ضبط نظامية السير وتسهيل حركة المرور بسرعة توفر على السائق الوقت والمال

والارهاق سهلة ولا تكلف المرء جهدا فوق طاقته . يكفي قليل من التبصر. اشارة سهم واحيانا ضبط النفس لحل المعضلة . ثم ان التمتع بالرفاهية التي توفرها السيارة لصاحبها يقتضي منه بعض التضحية ، والتنازل عن شيء من الانانية .

ان تقيد السائقين والمشاة بالنظام واعتبار الشرطي رجلا مهمته مساعدة السائق لا التحامل عليه ، والسهر على سلامة المشاة يكفي لتسهيل السير بانتظام الحلول الجذرية ، الطويلة الامد التي سوف تحقق . هذه الحلول كثيرة متنوعة ، منها شق الشوارع العريضة ومنها توسيع الشوارع الراهنة ، وكذلك فتح مرائب خاصة بكل بناية (وقد نص عليها القانون)، ومرائب مواقف ، الى تخطيط مناطق خضراء واخيرا اللجوء الى وسائل زجرية كسحب اجازة السير من المخالف الذي لا يرتدع .

بيد انه يجدر اللفت الى كون هذه الاجراءات تظل دون مفعول اذا لم يصحبها وعي فردي للمصلحة العامة واعتزام حر على التقيد بالعقد الجماعي الذي يلزم كل انسان يعيش وسط جماعة .

وان التغلب على وضع السير الراهن لا يتطلب مع ذلك جهودا هائلة. ان شارة السير ذات السهم موجودة ، وقانون السير موجود واضح . وقد بلغ السائق البيروتي المرحلة التي توجب عليه لكي يتمتع بمزايا الحياة العصرية ان ينصاع بعض الشيء الى النظام .

ومن ذلك اتباع الشارات ذات السهم ، واحترام الشارة الضوئية ، وتعليمات شرطي السير ، واتخاذ احتياطات قبل السير في منعطف ، وقبل الوقوف ، وفور الانطلاق .

وعلى المشاة من ناحية ثانية ان يدركوا انهم ليسوا وحيدين في الشارع وان قوانين الحياة العصرية التي وضعت لمصلحة الجميع عليهم ان يجتازوا الشارع عندما يضيء لهم النور الاخضر ، وان يمروا ضمن المسامير ، وان يعتبروا شرطي السير دليلا ومساعدا لا عدوا .

•

الفقيد الاديب الشاعر اورخان ميسر

ولد اورخان ميسّر ، في مدينة استنبول ، في اليوم السادس من شهر ايار عام ١٩١٢ . وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية في الجامعة الوطنية في عاليه ـ لبنان ، ثم دخل الجامعة الاميركية ببيروت ، حيث احرز الشهادة الجامعية في العلوم .

وقد تجلت فيه الموهبة الادبية منذ حداثته ، فكتب في الادب ، وقال الشعر ، وهو في الرابعة عشرة . ثم دأب على دراسة الطب مدة من الزمن ، ولكنه تحول الى دراسة العلوم والتحليل النفسي ، وله في هذه المجالات ، كثير من المقالات المفيدة .

وكان الراحل العزيز ، اول من تناول الفن والادب السريالي في البلاد العربية . وفي عام ١٩٤٧ ، ألّف مع الدكتور علي الناصر ، كتابا عنوانه « سريال » . والى الدكتور الناصر واليه يرجع الفضل في توجيه اخيه السيد عدنان ميسر ، نحو الفن السريالي ، وقد اصبح هؤلاء الثلاثة روادا للاتجاه السريالي في سورية ، وكان في نيتهم اصدار كتاب ضخم يحتوي على الرسم والشعر والنقد السريالي ، وترجمته الى اللغتين الانكليزية والفرنسية . وقد علمنا ان السيد عدنان سيعمل على انجاز هذا المشروع الادبي .

والمعروف ، ان الاستاذ اورخان ، كان يتقن اللغات : العربية والانكليزية والفرنسية والتركية ، على المستوى الادبي والعلمي معا. وقد بذل امواله في خدمة الادب والعلم والفن ، وجعل بيته ندوة دائمة للادباء والمتفننين، وتتلمذ على يده كثير من حملة الاقلام المعروفين والناشئين .

ولم يقف نشاطه عند هذا الحد ، بل ساهم مساهمة فعالة في خدمة الوطن ومكافحة الاستعمار ، وكان اول من فتح بيته للضباط السوريين الذين غادروا الثكنات الفرنسية ، وانضموا الى الحركة الاستقلالية الحرة في عام ١٩٤٥ .

وليس هذا فحسب ، فقد كان متحمسا للدفاع عن حق العرب في فلسطين . ومما يؤثر عنه ، انه كان يشتري قطع السلاح من ماله الخاص، ويمد به المناضلين عن ذلك الجزء الغالي من وطننا المفدى .

منذ بضعة اعوام ، عين مديرا للعلاقات في وزارة الاعلام السورية ، فقام بواجبه احسن قيام ، وبذل جهودا قوية ، لتحويل وجهة نظر الصحافة الاوروبية في تحليل موقف البلاد العربية من القضية الفلسطينية ، وبيّن ان العرب هم اصحاب الحق في فلسطين ، وهم سكانها الاصليون منذ آلاف السنين . وقد ظهر اثر ذلك ، في عدد لا يستهان به ، من الاذاعات والصحف الالمانية والانكليزية ، وفي بلاد اوروبية اخرى .

كتب كثيرا من المقالات ، وترجم الى لغة الضاد ، عدة كتب من مختارات الشعر والنثر في اوروبا ، ونقد كتابها نقدا مبنيا على اسس العلم والمنطق والنزاهة المثلى .

وفي اول عام ١٩٦٤ ، اصيب بسرطان الرئة ، ولم يتمكن الاطباء من اكتشافه الا في شهر سبتمبر (ايلول) من السنة نفسها ، فقرروا ان تجرى له عملية يستأصل فيها القسم المصاب من الرئة اليمنى . ولكن الداء الوبيل تسرب بعد العملية ، الى الرئة اليسرى ثم الى الكبد والجهاز الهضمي ، ولم يعد للعلم حيلة في انقاذ تلك الحياة الغالية ، رغم تجنيد كبار الاطباء والجراحين الدوليين ، الذين اشتركوا في المؤتمر الطبي بدمشق .

وفي اليوم السابع من مايو (ايار) ١٩٦٥ ، وكان صبيحة يوم عيد ميلاده ، استأثرت به رحمة الله ، بعد ان ودع زوجته واخاه عدنان ، وعددا من اهله واصدقائه الوداع الاخير .

وها نحن نثبت الكلمة العاطفية الرقيقة ، التي ودعه بها صديقه وصديقنا الطبيب الشاعر الدكتور علي الناصر :

اورخان : ان شعورك العميق بالحياة ، وشوقك اللاايحد اليها ، وغباء الوجود ، قد مزقك ذرة ذرة بلا رحمة . ولقد تحملت هذا التمزق الجائر طوال عمرك بصبر عجيب ، وفلسفة اعجب ، حتى ان السرطان اراد اختبار شدة آلامه فانتقاك لها .

يا صنو نفسي الحبيب : ان الخمر ، الحب ، البحث ، لا تستطيع تبديل لمحة من زمن في كون لا حدود له ، وما الكون ؟.. وما الزمن ؟..

ها قد اغمضت عينيك العميقتين ، ورقد دماغك عن عبث التفكير ، فاين انت الآن من الكون ، والزمن وخلجات الحياة ؟..

فيا لتفاهة الحياة والموت لولا تلك الومضات التي كانت تخدرنا في تلك الامسيات ، وتحجب بصائرنا عن الواقع .

ان ومضات الحياة المبدعة مهما قصرت ومهما شحنت بانواع ، هي فخر هذا التصادف الاصم ، الاعمى لهذا الكون الجمادي السادر في دورانه الى ابد الآبدين .

يا صنو نفسي .

انك تخليت عني وعن رفيقتك الصابرة ، وتركتنا الى حزن لا يخمد جذوته الا الذي اخمدها عندك فالى اللقاء :

اورخان موتك قد بنى ... لك ذكريات من وفاء
ترتادها روحي الحزينة ... في الصباح .. وفي المساء ..
امسيت اقرب لي واوضح ... رغم مهزلة الفناء

حلب ـ مجلة الضاد